

فهل لنا أخي المؤمن، بعد كُلِّ ما سَمِعْنَا مِنْ رَفِيعِ الْأَدِلَّةِ، أَنْ نَقُولَ فِي يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَوْلًا لَا يَلِيقُ بِهِ؟

### مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

- ١ - تحفيزاً للشباب على رفض الإغواء الذي قد يتعرضون له، وذلك بالتأسي بتصرف يوسف عليه السلام عن طريق تقوية رؤية براهين الله تعالى بالتأييد والنصرة عند رفض الفاحشة، ويجب الإستعداد لدى الشباب باستحضار آيات قدرة الله تعالى في الكون، ومعاني مراقبة الله تعالى والمعرفة بأنه مطلع على الخبايا والخفايا، وأنه لا يخفي عليه خافية في الأرض ولا في السماء.
- ٢ - وجوب الدعاء إلى الله تعالى أن يصرف عنا وعن أبنائنا السوء والفحشاء، بذكر الآية الكريمة، تأسياً بفضله على نبيه يوسف عليه السلام وهو السميع العليم، القريب المجيب الدعاء.

ثم يقول الله تعالى :

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سِيَدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

[رقم الحلقة على القرص المدمج: ٢٠]

تَنَقَّلْنَا الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ أَخِي الْمُؤْمِنِ، إِلَى مَشْهَدٍ جَدِيدٍ مِنْ مَشَاهِدِ قِصَّةِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، تَتَسَارَعُ فِيهِ الْأَحْدَاثُ فِي غَزَارَةٍ شَدِيدَةٍ بِالْمَعْنَانِي، وَتَنْوَعُ وَاسِعٌ فِي الصُّورِ، وَتَفَاعُلُ عَالٍ فِي الْمَشَاعِرِ، وَأَنْتِقَالَ مِفْصَلِي فِي وَضْعِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ.

إِلَّا أَنَّهُ، وَمَعَ كُلِّ هَذِهِ الْغَزَارَةِ وَالتَّسَارَعِ، تَحْمِلُنَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ إِلَى مَشَاعِرَ

جديدة من السعادة والانتصار في نجاح يوسف عليه السلام في اجتياز المرحلة الأصعب من الامتحان، بامتياز رفيع . . .

وستتابع أحداث المشهد، الواحد تلو الآخر.

يقول الله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾.

في هذا الشطر من الآية، لطائف عدة:

**اللطفة الأولى:** في تأملنا لما أنتجته كلمة ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾، من تحريك مفاجيء للمشهد، من حال توتر واحتقان شديد، مع هدوء حدير، إلى تنفيس الاحتقان وحركة عالية متصاعدة، بدأت بتحريك يوسف عليه السلام المفاجيء، وما أعقبه من تحريك من امرأة العزيز في أعقابه. وفي هذا المشهد، تبيئت لقاعدة هامة من قواعد علم الاجتماع، نُوردها كالتالي: إن الاحتقان الشديد في العلاقات بين الأفراد، هو المحفز لحصول التنفيس عبر الانفجار، الذي يظهر إلى العلن، إما عراكاً، أو شجاراً كلامياً، أو تشنجات بكائية، أو أذية مادية، كمثل هدوء ما قبل العاصفة. وغالباً ما تكون الأضرار أقدح مما قد يُحَيَّلُ للأطراف حال الاحتقان.

**اللطفة الثانية:** في تأملنا للدوافع والأسباب التي حملت كلاً منهما للرخص نحو الباب.

فمن جهة يوسف عليه السلام، وبعد أن حماه الله تعالى من شر الوقوع في المعصية، أو التفكير فيها، كانت الخيارات أمامه ضيقة محدودة:

فإما أن يتسمر واقفاً مكانه، ملتزماً موقفه بالرفض السلبي، دون أن يحرك ساكناً.

وإما أن يدفعها عنه، وهذا يعني اضطرابه لاستعمال العنْف، مع خطورة انقلاب الموقف ضده، فيما لو دفعها وأصيبت بأذية.

وإِذَا أَنْ يَتَعَدَّ وَيَتْرَكَ الْغُرْفَةَ وَيَأْسِرُ مَا يُمَكِّنُ .

وفي كل الأحوال، فإنَّ القَرَارَ صَعِبٌ ومَرِيئٌ على يوسفَ عليه السلام:

فهو في موقعِ الخادمِ لدى سَيِّدَةِ القصر، وأيُّ مِنَ الخِيَارَاتِ الثلاثةِ المذكورةِ مُرُّ المذاقِ، فهو إمَّا أَنْ يَتَأَذَى فِي أَسْتِمْرَارِ تَصَاعُدِ الْأَحْتِقَانِ فِي الْمَوْقِفِ فِي الخِيَارِ الْأَوَّلِ، وإمَّا أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنَ الضَّحِيَّةِ إِلَى المَذْنِبِ فِي الخِيَارِ الثَّانِي، وإمَّا أَنْ تُعَاقِبَهُ الْعِقَابَ الشَّدِيدَ فِي الخِيَارِ الثَّلَاثِ. وها نحن نراه، بما آتاهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ، يَخْتَارُ أَهْوَنَ الشُّرُورِ، وَيَقْبَلُ عَلَى نَفْسِهِ أَحْتِمَالَ مَعَاقِبَتِهِ ظُلْمًا، وَيُسْرِعُ فِي الانْسِحَابِ مَجْتَهِدًا أَفْضَلَ أَجْتِهَادٍ. وَسَرَى آثَارَ هَذَا الخِيَارِ الصَّائِبِ، فِي اللَّاحِقِ مِنَ الْآيَاتِ.

ومن جهةِ امرأةِ العزيز، فقد تَعَدَّدَتِ الْأَسْبَابُ الَّتِي تَحْمِلُهَا عَلَى الرِّكْضِ بِاتِّجَاهِ الْبَابِ، وَقَدْ رَأَتْهُ يَرْكُضُ بِاتِّجَاهِهِ:

فإِذَا لَمْنَعِهِ مِنَ الْهَرَبِ، وَقَدْ عَلِمَتْ مِنْهُ الصُّدُودَ وَالرَّفْضَ . .

وإِذَا لِمَحَاوَلَةِ مُرَاوَدَتِهِ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ جَدِيدٍ . .

وإِذَا لِسَبْقِهِ وَالْوَشَايَةَ بِهِ كَذِبًا لِمَعَاقِبَتِهِ .

وإِذَا لِمَغَادِرَةِ الْغُرْفَةِ بَعْدَ أَنْ أَيْقَنْتَ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَجِيبَ لَهَا .

والحقيقةُ أَنَّ تَسَارُعَ الْأَحْدَاثِ، وَظُهُورَ عَوَامِلَ جَدِيدَةٍ، حَسَمَتْ هَذِهِ الْإِحْتِمَالَاتِ، وَأَدَارَتْ تَطَوُّرَ الْقِصَّةِ فِي اتِّجَاهٍ جَدِيدٍ، كَمَا سَرَى لِأَحْقَاقِ إِنْ شَاءَ اللهُ .

**اللطيفة الثالثة:** فِي تَأْمُلِنَا لِمَعْلَمِ جَدِيدٍ مِنْ مَعَالِمِ شَخْصِيَّةِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ. فَنَحْنُ نُلَاحِظُ أَنَّهُ مِنْذُ حَدِيثِ الرَّؤْيَا إِلَى يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامِ، فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، لَمْ نَسْمَعْ مِنْهُ حَدِيثًا، وَلَمْ نَشْهَدْ لَهُ تَصَرُّفًا، بَلْ كَانَ مُوَاقِبًا لِتَطَوُّرِ الْأَحْدَاثِ .

ثم ها نحنذا نَسْمَعُهُ فِي أَوَّلِ كَلِمَةٍ يُسَجِّلُهَا لَهُ الْقِرْآنُ الْكَرِيمُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، ثُمَّ نَرَاهُ يَنْفُضُ عَن نَفْسِهِ ثَوْبَ الطَّاعَةِ، وَيَقُومُ بِتَصَرُّفٍ رَافِضٍ بَرَكُضِهِ نَحْوَ الْبَابِ، فِي تَصَرُّفٍ جَرِيءٍ قَدْ لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ لِمَنْ هُوَ فِي مِثْلِ صِفَتِهِ، أَمَامَ مَنْ هِيَ فِي مِثْلِ صِفَتِهَا.

مَعَ هَذَا الْحَدِثِ، بَدَأْنَا نَرَى فِي يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَجُلًا ذَا شَخْصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ مُكْتَمِلَةٍ: لَقَدْ اسْتَوْعَبَ الْمَوْقِفَ وَعَرَّضَهُ عَلَى الثَّوَابِ الَّتِي يَخْمَلُهَا مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمُقْتَضَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾<sup>(١)</sup> وَطَبَّقَ الْقَاعِدَةَ الْكُبْرَى: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»، فَإِذَا بِجَمِيعِ الْاِعْتِبَارَاتِ الْوَاهِيَةِ تَتَهَاوَى، فَلَمْ يَعْذِرْ فِي نَفْسِهِ، رَيْبَ بَيْتِ الْعِزِّ، حَيْثُ يَجِبُ أَنْ يَتَلَقَّى الْأَوَامِرَ وَيُطِيعَ، وَلَمْ تَعُدْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ سَيِّدَةً تَأْمُرُهُ وَتَنْهَاهُ، بَلْ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي مَوْقِفٍ نَصِيرٍ الْحَقِّ فِي مُوَاجَهَةِ دَاْعِي الْبَاطِلِ، وَهَذَا الْمَوْقِفُ لَا يَحْتَمِلُ الْمُهَادَنَةَ، فَكَانَ قَرَارُهُ حَازِمًا جَازِمًا، لِيَكُونَ لَنَا مِثَالًا رَائِعًا يُحْتَذَى، وَيَخْمَلُنَا عَلَى أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِ فِيمَا يَغْتَرِضُنَا مِنْ مَوَاقِفَ صَعْبَةٍ فِي سِيرَةِ حَيَاتِنَا.

[ننتقل إلى حلقة أخرى على القرص المدمج رقمها: ٢١]

ثم يقول الله تعالى: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾.

في هذا الشطر من الآية، لطائف عدة.

**اللطيفة الأولى:** في دَهَشَتِنَا، وَنَحْنُ فِي سِيَاقِ آيَةٍ شَامِلَةٍ جَامِعَةٍ مُؤَجَّزَةٍ، أَنْ نَرَى تَفْصِيلًا قَدْ يَبْدُو لِأَوَّلِ وَهْلِيَّةٍ، غَيْرِ ذِي بَالٍ. لَكِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، شَاءَ أَنْ يَجْعَلَ فِي هَذَا التَّفْصِيلِ، دَلِيلَ بَرَاءَةِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا بِهِذَا التَّفْصِيلِ الصَّغِيرِ، يَزْتَدِي الْأَهْمِيَّةَ الْفَائِقَةَ، وَيُؤْصِلُنَا إِلَى قَاعِدَةٍ هَامَةٍ مِنْ قَوَاعِدِ تَعَامُلِ النَّاسِ

(١) [سورة يوسف، الآية: ٢٢].

فيما بينهم، ومُفَادَها: النَّاسُ تَأْخُذُ بِالْأَدْلَةِ الْمَحْسُوسَةِ لِلتَّصْديقِ، أَمَّا مَجْرَدُ الْقَوْلِ الصَّادِقِ غَيْرِ الْمَشْفُوعِ بِالْدَّلِيلِ الْحِسِّيِّ، فَلَا مَكَانَ لَهُ بَيْنَهُمْ. لِأَنَّ السَّرَائِرَ لَا مِقْيَاسَ لَهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

ولقد أَعْمَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، هَذِهِ الْقَوَاعِدَ الدُّنْيَوِيَّةَ، أُسُوءَ بَبَقِيَّةِ الْبَشَرِ، تَدْلِيلًا عَلَى بَشَرِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَخُضُوعِهِمْ أَصْلًا لِحَيَاةِ الْبَشَرِ، وَأَسْتِثْنَاءَ لِتَمْيِيزِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

**اللطيفة الثانية:** فِي تَأْمَلِنَا لِلْحَالِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، وَهِيَ تَقْدُ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ: لَقَدْ اسْتَبَقَا الْبَابَ، وَلَقَدْ سَبَقَهَا، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بَدَأَ أَوَّلًا بِالتَّحْرُكِ، وَهَذَا دَلِيلٌ بِرَاءةٍ أَوَّلُ لَهُ، وَلَقَدْ وَصَلَ إِلَى الْبَابِ قَبْلَهَا. لَقَدْ أَصَابَهَا الْعَضْبُ وَالْقَلْقُ فِي آن:

◀ الْعَضْبُ مِنْ رَفِضِهِ لَهَا، ثُمَّ مِنْ ابْتِعَادِهِ عَنْهَا، ثُمَّ عَزَمِهِ عَلَى مُغَادِرَةِ الْعُرْفَةِ، وَأَحْتِمَالِ سَرْدِهِ لِمَا حَصَلَ.

◀ وَالْقَلْقُ مَخَافَةٌ أَنْ يَنْتَشِرَ الْخَبِيرُ.

كُلُّ هَذَا دَفَعَهَا إِلَى مَنَعِ يَوْسُفَ مِنَ الْمَغَادِرَةِ، أَوْ عَلَى الْأَقْلِ، أَنْ تُغَادِرَ قَبْلَهُ، فَأَمْسَكَتْ بِهِ لِتَبْعِدُهُ عَنِ الْبَابِ، وَكَانَ أَنْ مَرَّقَتْ قَمِيصَهُ مِنَ الْخَلْفِ..

رَدَّةُ الْفَعْلِ هَذِهِ، لَيْسَتْ وَاحِدَةً بَيْنَ النَّاسِ: فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ، نَجِدُ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُصِيبُهُ الْإِرْبَاكُ، فَلَا يَقْوَى حِرَاكًا، وَيَتَسَمَّرُ فِي أَزْوَاجِهَا حَائِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصِيبُهُ الْعَضْبُ الْجَامِحُ إِلَى دَرَجَةِ الْجَنُونِ، فَيُقَدِّمُ عَلَى أَفْعَالٍ غَيْرِ مَوْزُونَةٍ قَدْ تَكُونُ مُؤَذِيَةً. وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سَرِيعَ التَّفَاعُلِ سَرِيعَ الْبَدِيهَةِ، قَرِيبَ الْخَاطِرِ، يَبْحَثُ عَنِ أَفْضَلِ الْحُلُولِ، وَيُسْعِفُهُ الذَّهْنُ فَيَتَّخِذُ الْقَرَارَ الَّذِي يَعْتَقِدُهُ الْأَفْضَلَ لِمَصْلَحَتِهِ، وَيَقُومُ بِتَنْفِيزِهِ، وَكَانَ هَذَا حَالِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ.

لَقَدْ تَتَبَعَ الْعُلَمَاءُ فِي عَصْرِنَا الْحَالِي، هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ عَنْ كَتَبِ، وَأَصْبَحَ بِإِمْكَانِنَا

اليوم، أن نرسم خريطةً تنقل الأفكار بين أرجاء الدماغ، ذهاباً، وإياباً، صعوداً، وهبوطاً، وما يمكن أن تصل إليه من نتيجة، بحسب التكوين الداخلي الوظيفي المرتبط بخصائص الشخصية لكل واحد منا، لكن المقام لا يتسع في تأملنا اليوم، للحديث عن هذا الفتح الإلهي للإنسان، وهو على درجة عالية من الأهمية.

**اللطيفة الثالثة:** في قوله تعالى: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ فيما تنقله إلينا من صورة لتبدل حال الإنسان وقت الغضب. والحقيقة أن قوة الإنسان البدنية تتضاعف عند الغضب، لتسارع إفراز مادة الأدرينالين في الدم، مما يعطي العضلات قابلية أعلى للقبض والضغط. فإذا كانت امرأة العزيز جذبت يوسف عليه السلام من الخلف لإبعاده عن الباب جذباً غير عنيف، لما أدى ذلك إلى تمزيق قميصه. إلا أن حالة الغضب الشديد التي آتتبتها، جعلت قوة جذبها كافية لتمزيق القميص، وتلك كانت رحمة من الله تعالى، لإيجاد الدليل المادي لإثبات براءة يوسف عليه السلام.

ثم يقول الله تعالى: ﴿وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾.

في هذا الشطر من الآية، لطائف عدة:

**اللطيفة الأولى:** في تسارع الأحداث، وبروز الصور، الواحدة تلو الأخرى، من غير أن تكون مَعْقَدَةً، تَقْتَضِي خيالاً صعباً للتصوير، ما يضمن استمرار متابعة القارئ والمستمع، من غير إرهاق.

**اللطيفة الثانية:** في الإطلال على مشهد جديد بمعطيات جديدة:

فالعزیزُ هو سيد القصر، وهو الحاكم والأمر والنهي فيه، وهما أمام واقعة تتمثل بوجودهما معاً في عُزْفَةٍ مغلقة، وعليها تبرير هذا الوجود.

في هذه اللحظة، تَبَدَّلُ الحالُ النفسِيَّةُ عند كلِّ منهما:

فأمرأة العزيز، التي كانت في موقع الأمر والناهي داخلَ الغرفة، ثم في موقع الغاضب المنازع عند باب الغرفة، أصبحت في موقع المبرِّر الباحث عن الخلاص، في حَضْرَةِ سَيِّدِهَا. في هذه اللحظة، صارت تَبْحَثُ عَنِ النجاة، حتى بالكذبِ وَرَمِيِ الآخَرِينَ.

أما يوسف عليه السلام، الذي كان داخلَ الغرفة في موقع المتلقِّي للأوامر، ثم في موقع الراضِ المنتفضِ عند باب الغرفة، فقد أَصْبَحَ في موضعِ المتَّهَمِ الذي يُدْفَعُ عَن نَفْسِهِ، أمامَ العزيز، مع ضَعْفِ وسائلِ الدِّفاعِ...

**اللطيفة الثالثة:** لغوية في قول الله تعالى: ﴿وَأَلْفِيَا﴾ فعلى الرُّغْمِ مِنَ الْجَوِّ العاصِفِ الذي تدورُ فيه الأحداث، جاءت كلمة أَلْفِيَا، لطيفة مُلَطَّفَةٌ للجو، وأَعْقَبَهَا تَنَاعُمُ الكلماتِ في السِّياق، ﴿وَأَلْفِيَا سَيِّدِهَا لَدَى الْبَابِ﴾؛ وهذه جَمالِيَّةٌ لغويَّةٌ لا نَجِدُهَا في كلامِ البشر.

ثم يقولُ اللهُ تعالى: ﴿قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾.

في هذا الشطرِ مِنَ الآية، لطائفُ عدة.

**اللطيفة الأولى:** في استمرارِ تأمُّلِنَا لشخصيةَ امرأة العزيز، وهي تُتَابِعُ مَنَهَجَهَا في التعاملِ مَعَ الحدثِ: فحينَ قَرَّرَتْ أَنْ تَلْحَقَ بيوسفَ عليه السلام، وَجَدْنَا أَنَّهَا مِنَ الَّذِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِسُرْعَةِ بديهةٍ وتَأقُّلِمٍ سريعٍ مَعَ الأحداثِ، وها هي ذِي مَرَّةٍ ثَانِيَّةٍ، تَوَكَّدُ أَنَّهَا تَمْتَعُ بِحُضُورِ ذَهْنٍ وسُرْعَةِ بديهةٍ لَكِنَّهَا تَسْتَخْدِمُهَا فِي الْباطِلِ، فترمي يوسفَ عليه السلامَ زوراً وَكَذِباً بما كانت تَعْتَزِمُهُ هي، وَتَعْرِفُ يقيناً، بأنه سَيِّءٌ.

هذا الحدث، يُوصِلُنَا إِلَى قاعدةٍ أُخْرَى مِنْ قَوَاعِدِ عِلْمِ الْاجْتِمَاعِ. ومُفَادُهَا:

تَوَقَّدُ الذِّكَاةَ مَتْرُوكٌ بَيْنَ النَّاسِ، يَسْتُخْدِمُونَهُ إِمَّا فِي الْخَيْرِ فَيَفْلِحُونَ وَإِمَّا فِي الشَّرِّ، فَيَقْعُونَ وَيُوقِعُونَ.

**اللطفية الثانية:** في تناسقِ العبارة مَعَ الأدبِ الرفيع. فالله تعالى أجزى على لسانِ امرأةِ العزيزِ كلاماً راقياً للتعبيرِ عَن فِكْرَةٍ قبيحة، فقالت: ﴿مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ وهي تقصِدُ فاحشة الاعتداءِ على العِرض، تُريدُ تَنزِيهَ نَفْسِهَا عَنِ الزَّنا.

**اللطفية الثالثة:** في تَأْمِلِنَا إِلَى أَي مَدَى يُمَكِّنُ أَنْ يَصِلَ الْإِنْسَانُ الَّذِي لَا تُقَوْمُهُ الْأَخْلَاقُ، وَلَا يَزِدُّهُ الدِّينَ، فِي الْإِمْعَانِ فِي الْأَدِيَّةِ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ الضَّعِيفِ الْبَرِيِّ: لَقَدْ أَقْتَرَحَتْ عَلَى الْعَزِيزِ ظُلْمَيْنِ شَنِيعَيْنِ بَعْدَ أَنْ أَعْمَى الْحَنَقُ بَصِيرَتَهَا، وَأَفْقَدَهَا الْغَيْظُ صَوَابَهَا: إِمَّا السِّجْنَ، أَوِ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. وَكَمْ مِنَ الظُّلْمِ يُرْتَكَبُ فِي حَقِّ الْأَبْرِيَاءِ، وَيُظَنُّ الظَّالِمُونَ أَنَّهُمْ بِمَنَائِي عَنِ الْعِقَابِ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

#### مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

- ١ - للدلالة على وجوب التحرك واتخاذ الموقف الأوفق والأصلح في أسرع وقت ممكن، خشية ذهاب فرصة دفع السوء عن النفس أو التلبس في تهمة هو منها بريء.
- ٢ - للدلالة على أن المكر السيء حاضر في إذهاب الماكرين، ولا تعوزهم الحيلة، ولا يردعهم ضمير عن الصاق التهم بالأبرياء.
- ٣ - للدلالة على أن فاقد الضمير يمكنه أن يكون قاسياً جداً مع البريء المتهم، وأن يوقع عليه أشد الأذية، أو أن يساهم بأن تقع عليه الأذية الشديدة، كافتراح السجن، أو التغريب، أو حتى القتل.

(١) [سورة إبراهيم، الآية: ٤٢].

ثم يقول الله تعالى:

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ .

[رقم الحلقة على القرص المدمج: ٢٢]

تنقلنا هاتان الآيتان أخي المؤمن إلى مشهدٍ جديدٍ من قصة يوسف عليه السلام، تكاثرت فيه الأشخاص شيئاً فشيئاً. فبعد أن كان المشهد السابق مُقتصرًا على يوسف عليه السلام، وأمرأة العزيز، ثم أصبح ثلاثياً بأنضمام العزيز إليه، سيتحوّل مع هذه الآية، إلى رباعيٍّ بدخول الشاهد عليه، ثم سيزداد العدد إلى أن يتحوّل الحدث إلى قضيةٍ تنتشر في الأوساط القريبة ثم البعيدة في المدينة، كمثّل دوائر الماء في اتساعها، ثم بعد ذلك، سيُضخّح الحدثُ أممياً، ثم بعد ذلك سيصبح كونيّاً مُتداوِلاً عَبْرَ الأجيال، هذا الذي لأجله عُلقت الأبواب، كي لا يعرف به أحد!

سبحان الله العظيم: ما شاء الله تعالى ستره، ستر إلى يوم الدين، وما شاء إعلانه، لا ينفع معه اجتهاد ولا تغمية.

يقول الله تعالى: ﴿قال هي راودتني عن نفسي﴾ .

في هذا الشطر من الآية، لطائف عدة.

**اللطيفة الأولى:** في تأملنا لأسلوب الخطاب الذي تحدّث به يوسف عليه السلام. فبعد أن سمعنا في الآية السابقة، قول امرأة العزيز تتحدّث عن يوسف دون توجيه الخطاب إليه بقولها: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾، متكلمة بصيغة الغائب، وهو حاضر، فلم تستطع بسبب ذنبها

سوى التعريض، إذا به يُصرِّح بجرأة البريء ﴿هي راوَدتني عن نفسي﴾.

ولم يكن ليصرِّح بهذا لولا اتهامها له. يقول الله تعالى: ﴿لا يحبُّ الله الجهرَ بالسوءِ من القولِ إلا من ظلم﴾<sup>(١)</sup>.

**اللطيفة الثانية** في تأملنا وإعجابنا بجرأة يوسف عليه السلام، في قول الحق، وإن كان مَنْ هو في مثلِ وَضَعِهِ لا يَجْرؤُ على الكلام. فهي المرة الأولى التي نَسْمَعُهُ يُخاطِبُ فيها العزيزَ في مسألةٍ بالغةِ الخُطورة، مُتحدِّياً فيها زوجةَ العزيز، بل متحدِّياً العزيزَ نفسَه: فإنَّ في آتِهامِ يوسفَ عليه السلام، لزوجةَ العزيزِ بمراودته عن نفسه، إنتقاصاً مِنْ منزلةِ العزيزِ وأفتضاحِ سرِّه، وأهتزازِ مكانتهِ إذ سيُضْبِحُ مادَّةَ خِضْبَةٍ تَلوُكُها الألسُنُ في المدينة.

وفي أغلبِ الأحيان، يَقْبَلُ الخَدْمُ على أنْفُسِهِمُ تُهْمًا تَتكفَلُ بِطَمِسِ الحقائقِ مما يُرْضِي الجميع، وقد كانَ بالإمكانِ أنْ يَقْبَلُ على نفسه التُّهْمَةَ، فَيُعاقِبَ ظَاهِرياً، ثم يُعْفَى عنه كَمَخْرَجٍ لِلتَّسْتُرِ على امرأةِ العزيز، وبالتالي على العزيز؛ إلا أنه أترَّ أَلَّا يَتهاوَنَ في حقِّ الله تعالى، في إعلانِ براءتِه، وهو بذلك يُعْلَمُنَا أنْ نُنطِقَ بالحق، ولو تحتَ سيوفِ الظلمِ والتهديد.

**اللطيفة الثالثة:** في تعرُّفنا إلى مَعْلَمٍ جديدٍ مِنْ مَعَالِمِ شخصيَّةِ يوسفَ عليه السلام: فنحنُ نَلحَظُ أنه مُنذُ بدايةِ قِصَّتِهِ، كانَ قَليلَ الكلام، بل إنه لم يتحدَّثْ في مواضعٍ حَرَجةٍ جداً، كما حَصَلَ عندَ أنتشالهِ مِنَ البئر، فهو لم يُصرِّحْ عن نفسه، وكذلك حينَ أَشْتَرَاهُ عزيزُ مِصر، وكذلك حينَ عاشَ حِقْبَةَ نُموهِ وشبابهِ في بيتِ العزيز. إلا أنه هنا، في هذا الموقفِ الأشدَّ حَرَجاً الذي لو أَسْتشارَ فيه الناصحينِ الدنيويين لأشاروا عليه بالصمت، هنا تَكَلَّمَ ودافَعَ عن نفسه. الخلاصة: أنَّ يوسفَ عليه السلام، يَعْرِفُ متى يتكلَّمُ ومتى يَصْمُت، يَعْرِفُ ماذا

(١) [سورة النساء، الآية: ١٤٨].

يقول وكيف يقول. وهذا هو ثاني موقفٍ مُشرفٍ نشهده له، بعد أن تكلم برفض الفاحشة حين قال: ﴿مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾<sup>(١)</sup>.

**اللطيفة الرابعة:** في أنعدام التوازن بين امرأة العزيز، ويوسف عليه السلام في هذا الخصام، ورُجْحَانُ الكِفَّةِ لِصَالِحِهَا.

**فهي أولاً:** سيدة مرموقة يَضْعُبُ على العزيز والناس من بعده أن يصدق أنها هَمَّتْ بِأَسْتِمَالَةِ الخَادِمِ إليها.

**وهي ثانياً:** امرأة، وهو رجل، والفكرُ يَتَّجِهُ غالباً إلى محاولة الرجل أولاً التحرش بالمرأة، ونادراً ما يحصل العكس.

**ثالثاً:** هي التي بادرت بالاتهام أولاً، والفكرُ الإنساني يميل إلى قبول الادعاء من المدعي، ويُنْتَظَرُ الدِّفَاعُ مِنَ المدعى عليه، ويكفيه أنه لم يبادر بالاتهام حتى يضعف موقفه.

**رابعاً:** في ظل أنعدام الشهود، سيذلي كل واحدٍ منهما بأقواله، وفي ظاهر الحال، سيكون تبيان الحقيقة عسيراً.

إلا أن مشيئة الله تعالى، بإظهار الحق، قضت بأن تدور الأحداث باتجاه جديد لم تحسب له امرأة العزيز حساباً، وهي التي اجتهدت لإحكام الطوق حول يوسف عليه السلام.

يقول الله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقْتَ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾.

في هذا الشطر من الآية، لطائف عدة:

**اللطيفة الأولى:** في عودة الصور إلى التسارع بعد هدوء أعقب تنفيس

(١) [سورة يوسف، الآية: ٢٣].

الاحتقان، فَفَنَّهُمْ مِنْ سِيَاقِ الْآيَةِ. أَنَّ الْمَسْأَلَةَ تَفَاعَلَتْ، وَلَمْ يَصِلِ الْعَزِيزُ إِلَى تَبْيَانِ الْحَقِيقَةِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، مِمَّا أَسْتَوْجَبَ تَوْسِيعَ الدَّائِرَةِ لِلْحُصُولِ عَلَى إِجَابَةٍ.

وَنَفَّهُمْ أَنَّ الشَّاهِدَ لَمْ يَكُنْ حَاضِرًا فِي الْمَشْهَدِ السَّابِقِ، وَهُوَ حِينَ أُعْطِيَ رَأْيَهُ لَمْ يَكُنْ قَمِيصُ يَوْسُفَ تَحْتَ نَاطِرِيهِ.

وَنَفَّهُمْ أَنَّ الْعَزِيزَ جَادًا فِي السَّعْيِ لِلْوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ، دُونَ أَنْ يَمِيلَ إِلَى تَصْدِيقِ زَوْجَتِهِ. وَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ مِيزَانَ الْقُوَى فِي صَالِحِهَا.

**اللطيفة الثانية:** في إشراكنا في أستنتاج آليّة حصول التمييز دون الإفاضة في التفصيل. فحين أكتفى الشاهد بقول: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتُ﴾ لم يُعْطِنَا حَيْثِيَّاتِ التَّحْلِيلِ. وَتَرَكَ لَنَا أَنْ نُعْمَلَ فِكْرَنَا، لِنُصَلَ إِلَى الْوَقَائِعِ التَّالِيَةِ: بِمَعْنَى: إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ تَمَرَّقَ عِنْدَ صَدْرِهِ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ بِمُؤَاجَهَتِهَا مُقْبَلًا عَلَيْهَا، وَرَاحَتْ تُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهَا، فَتَمَرَّقَتْ قَمِيصَهُ مِنْ حَيْثُ يُمَكِّنُهَا، وَلَنْ تَتَمَكَّنَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ صَدْرِهِ.

فَأَنْظُرْ أَخِي الْمُؤْمِنَ إِلَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ فِي الْإِيجَازِ.

**اللطيفة الثالثة:** في إدراكنا لمشيئة الله تعالى، بإحقاق الحقّ دون تدخّل غيبي مباشر: لقد شاء الله تعالى أَنْ يَظْهَرَ الْحَقُّ بِمَوْجِبِ تَفَاعُلِ الْبَشَرِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، بِمَا أَوْدَعَ لَدَيْهِمْ مِنْ خَصَائِصٍ، خُصُوصًا نِعْمَةَ الْعَقْلِ وَالتَّفَكِيرِ وَمَا أَحْتَاجَتْ تَبَرُّةَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ، إِلَى مَعْجَزَةٍ غَيْبِيَّةٍ، وَهِيَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ سَيْرُ الْأَحْدَاثِ الْلَاخِقِ، يُوضِّحُ هَذَا الْأَمْرَ:

فَقَدْ أَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى شَخْصًا مُحَايِدًا بِتَحْلِيلِ مَنْطِقِي وَبِمَفْهُومِ الْإِقْنَاعِ لَغِيَابِ الدَّلِيلِ. وَجَعَلَ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِهَا، لَكِي لَا يَكُونُ هُنَاكَ تَحْيِيزٌ.

وَجَعَلَ الْأَسْتِنْتَاجَ فِي الْمَطْلَقِ بِحَيْثُ إِنَّهُ يَصْدُقُ عَلَى الْحَاضِرِ وَالْغَائِبِ، وَأَسْتَعْمَلَ صِيغَةَ الْغَائِبِ، لِيَكُونَ الْحُكْمُ عَامًا.

وبدأ باستعراضِ أحوالِ براءتها أولاً، حينَ قال: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

ثم يقولُ الله تعالى على لسانِ الشاهد: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وفي هذه الآية، استكمالاً لتحليلِ الشاهدِ بأسلوبِ السردِ ذاته، وبطريقةِ استخلاصِ الحكمِ نفسها، دونَ الخوضِ في التفاصيلِ التي تُتركُ لنا لتحليلها كما التالي، بمعنى: وإن كانت هي التي تدعوه إلى نفسها وهو يتعد عنها فإراً متجهاً نحو الباب، وهي تتبعه فيكونَ وجهها قبالةً ظهره، وإن شاءت الإمساكُ به لمنعهِ من الهرب، فلنَ تتمكنَ من إمساكه إلا من خلفه، فلئن جذبتَه يَحْصُلُ التمزيقُ من الخلف.

#### مواطن الإسترشاد بالآيتين في الحياة اليومية:

١ - للدلالة على وجوب الجرأة في الحق، وقول الصدق ولو كان احتمال خسارة مكسب ما واردة بعد قول الصدق. وهذا من دليل عمق إيمان القائل وصحة توكله على الله تعالى ويستدل على ذلك يقول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: قال هي راودتني عن نفسي.

٢ - للدلالة على خطأ من يلتزم الصمت حال وجوب النطق بالحق، سواء عن نفسه أو عن غيره، كأن يكون شاهداً لحدث قد يعرض بريئاً إلى الاتهام ظلماً حال سكوته حتى ولو كان الكلام قد يفوت عليه كسباً محتمل الحصول.

٣ - للدلالة على وجوب أعمال أسباب الأدلة المادية والمباحث الجنائية للكشف عن ملابسات الأعمال الجرمية، وعدم الإكتفاء بالأقوال، حتى وإن كانت صادرة عن شخص موثوق، فالله تعالى هو أدرى بالسرائر.

ثم يقول الله تعالى :

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢٨)

[رقم الحلقة على القرص المدمج: ٢٣]

نتابع معاً أخي المؤمن أحداث قصة يوسف عليه السلام، وكنا قد رأينا في الآيات السابقة، موقف الاتهام الذي وُضِعَ فيه يوسف عليه السلام في ظلّ انعدام الشواهد والشهود، ثم سمعنا تحليلاً منطقيّاً على لسان شخص بعيد عن الواقعة، لم يكن حاضراً حين أصابت الحيرة العزيز..

وقد سمع اتهاماً خطيراً من زوجته ليوسف، وردّه عليها، وها نحن الآن مع هذه الآية، نستمع إلى الحكم ببراءة يوسف عليه السلام، وقد برّاه الله تعالى قبل العباد.

يقول الله تعالى: ﴿فلما رأى قميصه قد من دبر﴾.

في هذا الشطر من الآية، لطائف عدة.

**اللطفة الأولى:** في ابتداء الآية بكلمة فلما، تدليل على أنّ العزيز لم يكن قد التفت قبلاً إلى حال القميص، وهو في حال ذهولٍ وضياع. والتحليل المنطقي الذي وصل إليه الشاهد، ليس صعباً نظرياً، على أيّ واحد منا، وقد كان بإمكان العزيز أن يفكر فيه، لأنه لا يتطلّب خبرة خاصة كتلك التي تتملّكها المباحث الجنائية في البحث والتقصي عن الأدلة.

لكننا بالعودة إلى قواعد علم النفس، نجد أنّ حال العزيز في هذه اللحظات تنطبق عليها قاعدة التغيّسية ومفادها: عند حصول خطب جليل، تتعطل أجهزة التحليل والمنطق، لفترة زمنية مقدّار ما يحتاجه الذهن لاستيعاب الحدث.

القاعدة ذاتها تَنْطَبِقُ على حالِ الغَضَبِ الشديد، الذي يُعْطَلُ مراكزَ التعقُّلِ والاتزانِ، مما قد يَتَسَبَّبُ بأفعالٍ منافيةٍ للمنطق، فيها إيذاءٌ غيرٌ مُتناسبٍ مَعَ الحدثِ.

**اللطفية الثانية:** في ملاحظتنا، أَنَّ العزيزَ أَخَذَ بتحليلِ الشاهدِ بعينِ الاعتبارِ ولم يُهْمِلْهُ، دليلٌ على أنه كَانَ يَبْحَثُ عنِ الحقيقةِ. وهذه مسألةٌ هامةٌ تُلقِي الضوءَ على حقيقةِ الحياةِ الاجتماعيةِ التي كَانَتْ سائدةً في ذلك الزمانِ.

فنحن نعلمُ أَنَّ مصرَ في ذلك الوقتِ، كانتِ تحتَ حُكْمِ الفراعنةِ، وبعضهم أَدعى الألوهيةَ واستعبدَ الناسَ ولم تَكُنِ الضوابطُ الاجتماعيةُ محكومةً بحدودِ الشرعِ، وأوامره ونواهيهِ، مَثَلُها في ذلك كَمَثَلِ مجتمعاتِ اليونانِ والإغريقِ.

وعلى صعيدِ الأسرةِ، كانتِ العائلاتُ تتكوَّنُ بالزواجِ وإنجابِ الأولادِ، وحافظَ الناسُ على بعضِ الفِطْرَةِ فيهم، ومنها المحافظةُ على الشعورِ بالغيرةِ، رُغْمَ كُلِّ الفسادِ الذي كَانَ قائماً، فكانتِ الفواحشُ والزنا موجودةً، إلا أَنَّ الرجلَ لا يَقْبَلُ على نفسه أن تخونهُ زَوْجُهُ، ليس مِنْ مُنْطَلِقِ الحُرْمَةِ الدينيةِ، بل بدافعِ الأثرةِ وَحُبِّ الذاتِ، والشعورِ بالمهانةِ والدَّلةِ.

نَسُوْقُ هذه الوقائعِ لِنَنْظُرَ إلى عصرِنا اليومِ. لنرى أَنَّ التاريخَ يُعيدُ نفسه، وَأَنَّ الحُطَّةَ الشيطانيةَ في التعاملِ مَعَ الإنسانِ، واحدةٌ منذُ أَنْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى آدمَ، ثم تَوَعَّدَهُ وَدُرَيْتَهُ بالإغواءِ. فنحن نرى في المجتمعاتِ الغربيةِ المتحضرةِ، المتدنيةِ إلى أسفلِ دَرَكٍ في الانحلالِ والتفَلُّتِ، حيثُ لم يَعُدْ الزنا جُرْماً يُعاقَبُ عليه، وقد دَخَلَ في ذهنيةِ المواطنِ الغربيِ، منذُ نُعومةِ أَظْفَارِهِ، أَنَّ الزنا سلوكٌ طبيعيٌّ لدى الإنسانِ، وقد بلغَ عمقُهُ في الذُّهنيةِ الغربيةِ مبلغاً، أَصْبَحَ الذي لا يُمارِسُهُ غيرَ طبيعيِّ.

مَعَ كُلِّ هذا الانحرافِ، نجدُ أَنَّ المجتمعَ بِأسرِهِ تَثَوَّرَ تَأثيرُهُ، حينَ يَخْصَلُ

زنا مضافاً إلى أسرة قائمة بطريق الزواج أو بطريق الزنا، وهذه من غرائب الأمور وعجائبها: فالمجتمع الغربي يقبل الزنا الأول، الذي عليه تقوم الأسر، ويرفض الزنا الثاني الذي يطرأ على الزنا الأول. إنها مجتمعات تحيا حالة انفصام حقيقية، وهي تتخبط في ظلمات اعتماد قواعد عقيمة في تنظيم مجتمعيها، مثلها في ذلك كمثل ما عاينته المجتمعات البائدة التي أزالها فسادها من الوجود.

وبالعودة إلى حال عزيز مضر، فإن بحثه عن الحقيقة، كان حقيقياً وجاداً، وذلك لمعرفة ما إذا كانت امرأته هي المذنب أم يوسف. أما بعد المعرفة، فإن التصرف يكون مختلفاً فيما لو كان يوسف عليه السلام هو المذنب، أو فيما كانت هي المذنب، على ما سترى في لاحق الآيات.

ثم يقول الله تعالى: ﴿قال إنه من كيدك إن كيدك عظيم﴾.

في هذا الشطر من الآية، لطائف عدة:

**اللطيفة الأولى:** في الأسلوب الذي اعتمده العزيز في إصدار الحكم، وقد تجلّت الحقيقة واضحة أمام عينيّه، بإدانة امرأته، وتبرئة يوسف عليه السلام: فلم يقل إنك أنت المذنب، بل لم يوجه إليها الكلام غيائياً، على نحو تخاطب امرأته ويوسف، في دفاعهما، إنما وجه الخطاب إلى عامّة النساء وهو أسلوب ذكي، رمى من ورائه إلى عدم إظهار علو يوسف عليه السلام على امرأته.

**اللطيفة الثانية:** في إعلامنا من خلال هذه الصيغة في إصدار الحكم، بأنّ العزيز لن يكون على مستوى الجرأة المطلوبة منه في مثل هذا الموقف بمعاينة زوجته، أو على الأقل تغنيها، ولا بمستوى الإنصاف المطلوب منه بالثناء على يوسف عليه السلام، حين علم براءته، وسنعلم في الآية التالية، أنه ليس إلا مثلاً للحال الاجتماعية المتردّية التي آل إليها المجتمع الفرعوني من فساد وخيانة.

**اللطيفة الثالثة:** في وقوفنا على قول العزيز: ﴿إِنَّ كَيْدَ كُنْ عَظِيمٌ﴾.

هل هو فقط من باب سرد رأيه وقوله، أم إنه حُكْمٌ إلهيٌّ يُمكنُ اعتماده في معرفة حال كيد النساء؟

الكيد في اللغة الصنيع، وفي اللغة أيضاً، الحيلة والمكر، ولقد علمنا أنه جاء في الحديث النبوي الشريف، في كثير من المواضع، تحذير من فتنه النساء وكيد النساء وهذا ما لا يخفى على عاقل من خصوصية النساء فيما جُبلن عليه من قدرات ذهنية مرنة، في مقابل غلبة الرجال عليهن بالقوة البدنية.

المدهش في الأمر، أن الأبحاث العلمية العصرية الدقيقة، التي أفادت من الفتح العلمي الحديث، في تتبع المسالك العصبية في الدماغ، أظهرت فروقا، واضحة في اتجاه الإشارات العصبية عند الرجل والمرأة: ففي حين تتجه أكثر الإشارات لدى الرجل إلى الفص الأمامي من الدماغ، قبل انتقالها إلى أماكن أخرى، تتجه الإشارات لدى المرأة نزولاً باتجاه أسفل الدماغ، حيث مراكز الأنفعالات والعواطف، قبل أن تتوزع إلى المناطق الأخرى من الدماغ، مما يشير إلى أن المرأة في الأصل عاطفية، ثم هي عقلانية بعد ذلك، في حين أن الرجل عقلائي في الأصل، ثم هو عاطفي بعد ذلك.

وهذه المسألة، مع الفتح العلمي الجديد، تحتاج لأن تُعَارَضَ مع نُصوصِ الشَّرْعِ مِنْ كِتَابِ وَسُنَّةِ، لما يُمكنُ أَنْ تَكْشِفَهُ مِنْ طُرُقِ وَسُوسَةِ الشَّيْطَانِ لِلإِنْسَانِ، ومعرفةً مكامنِ تَدْخُلِهِ وَأَيْنَ يَقْبَعُ مِنْ تَفْكِيرِ الإِنْسَانِ مِمَّا يَسْمَحُ لَنَا أَنْ نُقَاوِمَهُ بِفَعَالِيَّةٍ أَكْبَرَ.



### مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية.

١ - للدلالة على الحالة النفسية للمرأة حين يملكها الغضب أو تريد الحصول على مسألة ما بالحيلة والحكمة، وذلك تدليلاً على أنها تملك من الخصائص والمقومات الخاصة بها والتي لا يملكها الرجل فيمكن القول: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم.

٢ - للتدليل على وجود فروقات تكوينية بين الرجل والمرأة، في معرض ذكر آيات الفروقات بين الرجال والنساء، ومن بين الفروقات تميز وتفوق المرأة على الرجل في حبك الخطط للحفاظ على مصالحها.

ثم يقول الله تعالى:

﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا وَاسْتَعْفَرَ لِدُنْيِكُ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (٢٩)

[رقم الحلقة على القرص المدمج ٢٤]

نتابع معاً أخي المؤمن مع هذه الآية تنمة حُكم عزيزٍ مِضرٍ في مسألة تبرئة يوسف عليه السلام، مِنْ تُهمَةٍ مُراوِدَةٍ زوجته عَن نَفْسِهَا وقد رَمَتْهُ بها، ونحن نَتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ حُكْمُهُ عادِلاً وِصارِماً، لِمَا لِلْمَسْأَلَةِ مِنْ خُطُورَةٍ عَلَى الْعَرِضِ وَالشَّرْفِ، وَلِمَا لِلعَزِيزِ مِنْ مَكَانَةٍ تُحْتَمُّ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حُكْمُهُ قُدْوَةً لِلنَّاسِ، وَلِمَا لِلعَزِيزِ مِنْ صَلاحيَّاتٍ عَالِيَةٍ فِي تَنْفِيذِ الْأَحْكامِ الصَّادِرَةِ عَنْهُ.

وكنا قد رأينا أنه أبدي أهتماماً بالغاً في معرفة الحقيقة، فهو لم يُبادِرْ إلى مُعاقِبَةِ يوسف عليه السلام، عندما أُتِهمَ، وَإِنْ كَانَ قَوْلُ زوجته حاسماً في تخييره بَيْنَ أَنْ يَسْجُنَهُ أَوْ أَنْ يُعَذِّبَهُ عَذاباً أليماً، خِيارانِ لا ثالِثَ لَهُمَا ثم إنه أَسْتَمَعَ إلى الشاهدِ في تحليله، وَأَنْطَلَقَ إلى أرضِ الواقعِ، لِلتَّحَقُّقِ مِنْ أَنْطَباقِ التَّحْلِيلِ على حالِ القَمِيصِ وها هو ذا قد عَلِمَ وَأَسْتَيْقَنَ أَنَّ يوسفَ بريءٌ، وَأَنَّ زوجته هي المُذْنِبَةُ، فَمَازَا كانَ الحُكْمُ؟

يقول الله تعالى في الآية الكريمة على لسان العزيز: ﴿يوسفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾.

أي: أَعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ هَذَا، أي: يا يوسف، تَكْتَمْ عَمَّا حَصَلَ، ولا تَذْكُرْهُ لأحد.

سبحانَ الله! إننا لَنُدْهَشُ حين نعرفُ أن هذه هي الحَصِيلَةُ التي خَرَجَ بها العزيزُ في نهاية الأمر، بأنَّ يَطْلُبَ مِنْ يوسفَ عليه السلام، عَدَمَ ذِكْرِ مَا حَصَلَ على مَسْمَعِ النَّاسِ. فبدلَ أن يُثْنِيَ على يوسفَ عليه السلام، نَزَاهَتَهُ ورفِيعَةَ أدبِهِ وعِفَّتَهُ وحَفَظَهُ لَهُ، وبدلَ أن يُعْلِي مِنْ شأنِهِ وَيَرْفَعَهُ على المَلَأِ كافَةً، وَيُظْهِرُ بَرَاءَتَهُ وَيَحْمِلَ النَّاسَ على الاقتداءِ به، وبدلَ أن يَرُدَّ إليه أَعْتَبَارَهُ بعدَ كُلِّ ما تَعَرَّضَ له مِنَ التشهيرِ، أو في أذُنِي حدودِ التصرفِ، يُوكَلُ إليه عملاً آخَرَ بعيداً عَنِ القَصْرِ وسَيِّدَتِهِ إذا به يَطْلُبُ منه أن يتصرفَ وكأنَّ شيئاً لم يَكُنْ.

لكنَّ دَهْشَتَنَا تزُولُ حين نُذْرِكُ أنَّ ضَعْفَ الشعورِ بِالغَيْرَةِ والدُّودِ عَنِ العَرِضِ، هي سِمَةُ المَجْتَمَعَاتِ المُثْرِقَةِ، التي أَبْتَعَدَتْ عَنِ هُدَى الله تعالى وأَسْتَوَطَنَهَا الشَّيْطَانُ يَفْرِضُ فيها قواعدهَ، ومن بَيْنِ هذه القواعِدِ، إِسْتِسْهالُ الرذيلةِ، وَعَضُّ الطَّرْفِ عَنِ فاعِلِها، والتَّهَؤُنُ في تَأديبِ مُرْتَكِبِها مما يُشْجَعُ النَّاسَ على التَّمادِي في إِطلاقِ العِنانِ لشَهَوَاتِهِمْ، دونَ حَسَبٍ أو رَقِيبِ.

#### وفي الآية الكريمة لطائف عدة:

**اللطيفة الأولى:** في ملاحظتنا لأبتداء الآية بذكر اسم يوسف عليه السلام في مخاطبة مباشرة من العزيز، لِطَرْفِي النِّزاعِ، ثم إِغْفالِ ذِكْرِ أَمْرَاتِهِ حين توجَّهَ بِالخطابِ إليها، وهذه مُفَارَقَةٌ واضحةٌ في الآية الكريمة، نَفْهُمُ منها ضِمْنياً بعضاً من رَدِّ الاعتبارِ ليوسفَ عليه السلام، وإنَّ لم يَكُنْ كافياً لإحقاق الحق.

اللطفة الثانية: في وقوفنا عند مضمون معنى ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْبِكَ﴾.

أي أطلب الغفران وأغلي التدم.

فإذا ما تأملنا حال امرأة العزيز بعد أفتضاح أمرها، نجد أن واقعها النفسي يزداد سوءاً وتأزماً مع تقدم سير الأحداث.

فقد بدأ الحدث حين غلبت عليها عواطف الأنجذاب نحو يوسف عليه السلام، وسيطرت هذه العواطف على تصرفها مما أغمى بصيرتها ونسيت موقعها وأضاعت أترانها.

ثم جوبهت برفض يوسف عليه السلام، الوقوع في المعصية، ومحاولة الهروب منها، فأصيبت بالهلع وحاولت ثنيه عن عزمه.

ثم فوجئت بوجود زوجها لدى الباب، فتحوّل الشعور لديها إلى غضب وضيق، وشعور بالإحصار والإرباك، حاولت التخلص منه بالكذب، وأتهام يوسف عليه السلام ظلماً وعدواناً.

ثم ظهرت الحقيقة بعد تبيان الدليل، وتحوّلت من مدع إلى مذنب متلبس بجريمته، وفي هذا الموقف، يتحوّل الشعور إلى إحباط وضعف تخور معه القوى، وتتهاوى الدفاعات، فإذا ما كان الجزاء موازياً لمقدار الجرم، شعر معه المذنب بأنه نال جزاءه الذي يستحقه، مما يعيد التوازن المفقود لديه، رُغم حزنه وكراهته لتطبيق العقوبة.

أما فيما لو لم يتل جزاءه بعد وضوح جرمه، فإن هذا يدفع النفس إلى موجات جديدة من الأضطراب، تتراوح بين القلق والحبور، يغلب عليها اللاتوازن، بين حديث النفس بالكف عن التمادي من جهة، والإيغال في التمادي من جهة أخرى.

والواقع أن امرأة العزيز عاشت حالة الأضطراب العنيف هذه، بعد صدور

حُكْمِ الْعَزِيزِ: فهي مُذنبَةٌ لم تَلَقَ جَزَاءً، وأداةُ الجُزْمِ عُرِفَتْ، وموضوعُ الجُزْمِ موجودٌ وظُروفُ تَكَرُّرِ الجُرمِ موجودة، والزَّادُ الأخْلَاقِيُّ أو الدِّينِيُّ مَعْدُومٌ، وما قولُ العَزِيزِ لها ﴿اسْتَغْفِرِي لَدُنِّكَ﴾، مِنْ القُوَّةِ بِمَكَانٍ حَتَّى تَنْشِيَّ عَنِ المَحَاوَلَةِ ثَانِيَةً. ولقد فَعَلَتْ كما سَنَرَى في لاحقِ الآياتِ.

### مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

- ١ - للدلالة على أن الترف حين يغلب على قوم. تضعف فيهم المرورة والشهامة، وتختفي موجبات الغيرة والذود عن العرض فتذكر الآية تدليلاً على ضعف الموقف في موقع يستوجب الحسم والعقاب.
- ٢ - للاستدلال حال حصول ظلم فاضح على متهم بريء رغم وضوح براءته، أن هذا الأمر كثير الحصول والتكرار على مر الأزمان، وأسطع دليل هو حكم عزيز مصر الذي أصدره في هذه الآية.

ثم يقول الله تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنْهَى عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

[رقم الحلقة على القرص المدمج: ٢٥]

نصلُ معاً أخي المؤمن، إلى مشهدٍ جديدٍ مِنْ مشاهدِ قِصَّةِ يوسُفَ عليه السلام، وقد أسدل الستارُ مع الآية السابقة على فصلِ حاسمٍ مِنَ المحنة القاسية التي تعرَّضَ لها يوسُفُ، دونَ أن تَلْقَى امرأةُ العَزِيزِ أي تصرفَ ماديِّ حاسمٍ مِنْ قِبَلِ زوجِها، يَزِدُّعُها عن التعرُّضِ ليوسُفَ عليه السلام، ودونَ أن يُبْعَدَ يوسُفُ عن موئِلِ الخطرِ المُخْدِقِ به.

فإذا بالآية موضوع تأملنا، نُنقلنا مباشرة إلى مجلسِ نسوة المدينة، اللواتي يُمثلن المجتمعَ الراقي، واللواتي يُحسب لأحاديثهن وآرائهن حساب، وإذا بموضوع حديثهن المحوري، مسألة امرأة العزيز ويوسف عليه السلام. يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾.

### في هذا الشطر من الآية لطائف عدة:

**اللطيفة الأولى:** في وقوفنا عند مغزى تخصيص حديث النسوة، بالإشارة إليهن دون غيرهن من بقية الشعب، وحين نسمع أن النسوة يتحدثن في المسألة، نعرف أن كل الناس صاروا على علم بها، لكن الله تعالى شاء أن يختص حديث النسوة بالثبوت في الآية الكريمة ونفهم من ذلك:

أن النساء أقدر من الرجال على إدارة أحاديث المسائل الاجتماعية والأسرية، ويملكن القدرة على التفصيل والتمحيص، والاستنتاج والتعليق، ويكون لاجتماعهن على أمر من هذا النوع، صدى أبلغ وأعمق من حديث الرجال، الذي غالباً ما يكون سطحياً وعابراً، ما يُعزز خصوصية كل من الرجال والنساء، فيما عرس الله تعالى في نفوسهم من ميول وأتجاهات.

ونفهم أيضاً، أن نساء المجتمع الراقي، يتربصن ببعضهن ويتبعن كل خطوة تخطو بها إحداهن ليَجعلنها أحاديث، وفي هذا ترجمة لخلو أذهانهن من مشاغل الحياة الجدية، ومن وقوعهن في أسر المباهاة والتفاخر والتناذر.

ونفهم أيضاً، أن المدينة في عصر الفراعنة، بلغت شأواً عالياً يتمثل بالمجالس التي تعقدتها النساء للتباحث. في أمور حياتهن، وهذا ما صدقته الاكتشافات الأثرية، حيث تم استخراج مجالس بكاملها من باطن الأرض، بعد طول إخفاءٍ وأندثار.

ونفهمُ أن امرأة العزيز، تَهْتَمُّ بما يدورُ في هذا المجلس، وتُعيِّرُه ألتفاتاً وأنتباهاً، على ما سَتَرى في الآية اللاحقة.

إلا أن الأهم، هو ما نَعْرِفُه مِن أن الأمر كُلُّه بتقديرٍ من الله تعالى الذي شاء أن يَظْهَرَ هذا الجانبُ مِن تطورِ الأحداثِ، لإِطْلَاعِنَا على ما سيكونُ مِن أمرِ هذه المِحْنَةِ التي تتوالى فُصولاً على يوسفَ عليه السلام.

**اللطفة الثانية:** في الصيغة التي وردَ فيها فعلُ المرادة: امرأة العزيز تُراوِدُ فتاها، بصيغة المضارع، ولم يَرِدْ بصيغة الماضي، كقولك، امرأة العزيزِ راوَدَتْ فتاهاً عن نفسه. وكان في ذلك، غمزاً من قناتها، وكأنها مستمرة في مرادته عن نفسه.

**اللطفة الثالثة:** في جمالية التعبيرِ القرآني، في الإشارة إلى يوسفَ عليه السلام، في الآية، دونَ ذِكْرِ أسمِه، فإذا بهنَّ يُسَمِّيْنَهُ فتاهاً ولم يَقْلُنَّ: خَادِمَهَا وفي هذا تكريمٌ منهنَّ ليوسفَ عليه السلام، في تنزيهه عن صِفَةِ الخَدَم.

**اللطفة الرابعة:** في مَعْزَى نِسْبَتِهِنَّ ليوسفَ عليه السلام إلى امرأة العزيزِ وليس إلى العزيز، لإظهارِ شِدَّةِ جُزْمِهَا، وبلوغِ ذَنْبِهَا: للدلالة على عدم أهليتها لامتلاكِ نفسها في حضرة شابٍ عَهِدَ إليها برعايته، فَقُلْنَ: ﴿تَراوِدُ فتاهاً﴾ ولم يَقْلُنَّ: تُراوِدُ فتى العزيز، أو تُراوِدُ فتاهم.

ثم يقولُ الله تعالى: ﴿قد سَعَفَهَا حُباً. إنا لنراها في ضلالٍ مبين﴾.

في هذا الشطرِ من الآية، لطائفُ عدة.

**اللطفة الأولى:** في وقوفنا عند ما ذَكَرْتُهُ مِن دَرَجَةِ الحُبِّ التي وَصَلَتْ إليها امرأة العزيز:

والمعروفُ أن الحُبَّ على درجات، وقد أُنقِنَ اللغويون تَفْصِيلَ درجاته على مراتبٍ تصاعديّة، نَذْكُرُها كما التالي:

﴿ فأول مراتبه الملاحظة، وهي أن يَنْتَبِهَ المحبُّ إلى خصائص في المحبوب، تجعله يُمَيِّزُهُ عن الآخرين، مَا يُبَيِّنُهُ فِي ذَهْنِهِ، ويجعل صورته راسخة في مخزون ذَاكِرَتِهِ. ثم يأتي المِيلُ، وهو شعورٌ خفيٌّ بالراحة، عند رؤية المحبوب، أو سماع صوتِهِ، دون أن تكون ملاحظة هذا الأمرِ مادةً حالة.

﴿ ثم تأتي المحبة، وهي درجة أعلى من الصداقةِ بقليل، ومفادها رغبة الخير للمحبوب، والسعادة لسعادته، والحزن لحزنه، وموافقته المحبوب في المشهد والمغيب.

﴿ ثم يأتي الهوى، وهو ارتفاع المحبة إلى مستوى راقٍ، يتوافق مع التصريحِ القلبيِّ الضمنيِّ بالأهتمامِ المخصوصِ بالمحبوب.

﴿ ثم تأتي العلاقة، وهي تَعَلُّقُ القلبِ بالمحبوبِ، يدورُ مَعَهُ حَيْثُما دارَ.

﴿ ثم يأتي الكلفُ، وهو شِدَّةُ الحُبِّ مع تَكْبُدِ المَشَقَّةِ.

﴿ ثم يأتي العِشْقُ، وهو فَرْطُ الحُبِّ، مع لُصُوقِ القلبِ بالمحبوبِ، وفيه إفراطٌ ومبالغة.

﴿ ثم يأتي الشَّغْفُ، وهو احتراقُ القلبِ وإِمرضُهُ من شِدَّةِ الحُبِّ.

﴿ ثم يأتي الشَّغْفُ، وهو حين يبلغ الحُبُّ مبلغاً يصلُ بالمعنى المَجَازِيَّ إلى شِغافِ القلبِ، أي أَغْلِفَتِهِ، بمعنى أنه تَعَلَّقَ إلى أعماقِ أعماقه.. وبهذا اللفظ، جاءت الآية الكريمة: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾.

ثم يَتَدَرَّجُ أهلُ اللغةِ في وَصْفِ المراحلِ صعوداً، فيذُكِّرونَ اللَّوَعَةَ واللاعجَ، ثُمَّ الجوى ثم التَّئِيمَ، وهو أن يَسْتَعْبِدَهُ الحُبُّ، وهي مراحلٌ خطيرةٌ يُخْشَى على المرءِ منها، ثم الوَجْدُ، وهو الحُبُّ الذي يَتَّبَعُهُ الحُزْنُ. ثم الأفتانُ، ثم الهيامُ، وهو أن يَذْهَبَ الرجلُ على وَجْهِهِ لَغْبَةِ الهَوَى عليه، وبينها مراحلٌ تَصِلُ عِنْدَ بعضِهِم إلى خمسينَ مرحلة.

**اللطفية الثانية:** في قوله تعالى، على لسانِ النُّسوة: ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، إشارة إلى عددٍ منَ الحقائقِ، تُورِدُها كالتالي:

اعتبرتِ النُّسوةُ عملَ امرأةٍ العزيزِ عملاً مُشِيناً، وكأنَّهُنَّ يُنَزَّهْنَ أَنفُسَهُنَّ عَنِ القيامِ بِمثلِ هذا العملِ.

ونفَهُمُ مِنَ الآيَةِ أَنَّهُنَّ لَا يَعْرِفْنَ يوسُفَ عليه السلامَ، وَلَا يَعْرِفْنَ عَلَى أَيِّ مستوًى مِنَ الجمالِ هو.

ونفَهُمُ أَنَّ الخَبَرَ أَنتَشَرَ فِي المَدِينَةِ، بِصِغَتِهِ الصَّحِيحَةِ: أَيِ إِنَّ يوسُفَ عَلَيْهِ السلامَ، بَرِيءٌ، وَأَنَّ أَمْرَةَ العَزِيزِ هِيَ المَذْنِبَةُ. وَلَمْ يَسْتَطِعِ العَزِيزُ أَنْ يَحْوَلَ دُونَ أَنتِشَارِ الخَبَرِ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ هِيَ أَنْ تُسَوِّقَهُ بِالصُّورَةِ المَعكُوسَةِ.

**اللطفية الثالثة:** في قوله تعالى، على لسانهن: ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا﴾.

وهو تعبيرٌ مجازيٌّ للإفادَةِ عَنِ الرُّؤْيَةِ القَلْبِيَةِ، وَلَيْسَتْ البَصَرِيَّةُ، وَتُسْتَعْمَلُ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِقْرَارِ اليَقِينِ لَدَى القَائِلِ بِصِحَّةِ مَقُولَتِهِ، وَإِيرَادُهَا يَكُونُ أَبْلَغَ فِي التَّعْبِيرِ مِنْ عَدَمِهِ.

#### مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

١ - للدلالة على أن لا سر يخفي على الناس، وخصوصاً في المسائل التي تتعلق بالشرف والعرض، أو مسائل الروابط العاطفية، وأن موضوع هذه المسائل بحد ذاته، يشكل عامل جذب وتحفيز للناس لتداوله، وبشغف شديد.

٢ - للدلالة على أن خطأ الشخص المشهور، أو المعروف، أو صاحب المكانة المرموقة في المجتمع، أو الذين تسلط عليهم الأضواء، فإن الألسن تضخمه بسرعة شديدة، ويصبح بسرعة فائقة جسيماً، يتلذذ الناس بمداورته فيما بينهم.

ثم يقول الله تعالى :

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَعَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرِجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَتْهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ .

[رقم الحلقة على القرص المدمج: ٢٦]

تنتقل بنا الآية الكريمة أخي المؤمن إلى المشهد الخامس من الفصل الثالث من قصة يوسف عليه السلام، في زخم تصويري بديع، تضح مع الآية لتكون وحدها، قصة كاملة زاخرة بالأحداث، فيها الحركة والتفصيل، والتصوير لحال النفس البشرية، وتقلباتها في تفاعلها مع الأحداث، وسنحاول أستخلاص ما جاء فيها من قواعد علم النفس، ما تيسر لنا.

يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ .

في هذا الشطر من الآية، لطائف عدة:

**اللطيفة الأولى:** في افتتاح الآية بكلمة ﴿فلما﴾ وفي هذا ربط مُحكَم للسِّيَاقِ مع الآية السابقة، التي أفتتحت فصلاً جديداً، توطئة لتفاعل حدث المرادة على مستوى المدينة بكاملها، فتهيئاً بذلك، للتعرف إلى ردة فعل امرأة العزيز، على ما حصل من حديث في المدينة بين النسوة.

**اللطيفة الثانية:** في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ وفي هذا إعلام ضمني لنا، لنوع العلاقة التي تسود بين امرأة العزيز، أو السيدة الأولى في المدينة، وبقية نساء المدينة، خصوصاً أهل الطبقة الراقية فيها.

فالمكر هو الخداع أصلاً، ويأتي بمعنى الإخفاء، وهنا جاء بمعنى سوء المقالة والأغتيال. ولم يأت التعبير على لسانها، بل هو لسان حالها، يُعلمنا به الله تعالى .

### وبكلمة واحدة، نفهم منها ما يلي:

أَنَّ حَالَ التَّوَتِرِ سَائِدَةٌ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ . وَالْأَسْبَابُ عَدِيدَةٌ تَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ الْأَزْمَانِ : فَكُلُّ وَاحِدَةٍ تَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ مَكَانَهَا ، وَهِيَ تُرِيدُ أَنْ تَحْتَفِظَ بِمَكَانِهَا ، وَالْإِنْسَانُ جُبِلَ عَلَى مُقَارَنَةِ نَفْسِهِ بِالْآخَرِينَ ، وَمِرَاقِبَةِ الْآخَرِ ، إِنْ كَانَ خَصْمَهُ ، وَتَتَّبِعَ عَثْرَاتِهِ ، وَلَا يُهْدَبُ هَذِهِ التَّوَازِعَ إِلَّا الدِّينُ الْقَوِيمُ .

وَنَفَهُمْ أَنَّهُنَّ يَتَرَبَّضْنَ بِهَا ، حَتَّى إِذَا مَا سَنَحَتْ لِهِنَّ الْفُرْصَةَ بِسَمَاعِهِنَّ بِهَفْوَتِهَا ، تَنَادَيْنَ مُسْرِعَاتٍ مَجْتَمَعَاتٍ لِلاتِّمَارِ بِهَا ، لَمَنْعِ أُنْدَثَارِ أَخْبَارِ الْحَدِيثِ مِنْ جِهَةِ أَوْلَى ، وَإِلِشْفَاءِ غَلِيلِهِنَّ بِالتَّشْفِيِّ بِالْحَدِيثِ فِي مَادَةِ خِصْبَةٍ مِنْ جِهَةِ ثَانِيَةٍ وَهِيَ فُرْصَةٌ لَا تُسْنَحُ كُلَّ يَوْمٍ .

وَنَفَهُمْ أَنَّهُ تَهْتَمُّ لِسَمَاعِ مَا تَقُولُ النُّسُوءُ وَتَتَفَاعَلُ مَعَهُ : فَهِيَ لَمْ تُهْمَلْ خَيْرَ أَجْتِمَاعِيَّهِنَّ ، بَلْ أَوْلَتْهُ أَبْلَغَ عَنَايَةٍ . وَسَنَعَلَمُ أَنَّهُ أَجَّجَ غَضَبَهَا وَدَفَعَهَا إِلَى إِعْمَالِ فِكْرِهَا مِنْ جَدِيدٍ .

### اللطيفة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿أَزْسَلْتُ إِلَيْهِنَّ﴾.

إِشَارَةٌ ضِمْنِيَّةٌ أُخْرَى ، لِلتَّعْبِيرِ عَنِ تَفَاعُلِهَا السَّرِيعِ بِصُورَةٍ إِيجَابِيَّةٍ ، مَعَ خَيْرِ أَجْتِمَاعِيَّهِنَّ ، وَقَدْ كَانَ بِإِمْكَانِهَا أَنْ تَتَفَاعَلَ سَلْبًا ، بِأَنْ تَنْطَوِيَ عَلَى نَفْسِهَا ، وَتَمْتَنِعَ عَنِ التَّوَاصُلِ مَعَهُنَّ ، بَلْ أَنْ تَمْتَنِعَهُنَّ مِنَ الْمَجِيءِ إِلَيْهَا ، وَهِيَ ذَاتُ سُلْطَةٍ وَمَكَانَةٍ بِإِمْكَانِهَا أَسْتَعْمَالِهَا .

إِلَّا أَنَّهَا عَادَتْ لِأَسْتَعْمَالِ ذِكَائِهَا الْقَوِيِّ جَدًّا ، وَسُرْعَةِ بَدِيهَتِهَا ، وَحُضُورِ ذَهْنِهَا ، مُضَيِّفَةً إِلَيْهَا هِمَّةً عَالِيَةً بِالمَجَابَهَةِ وَالتَّحْدِي ، دُونَ تَسْرُعِ أَوْ أَنْفَعَالِ ، بَلْ بِهَدْوٍ وَتَخْطِيطِ ، وَهَذِهِ صِفَاتٌ لَا يَتَمَتَّعُ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : التَّدْبِيرُ وَالتَّخْطِيطُ الْمُحْكَمُ ، مَعَ ضَبْطِ الْأَعْصَابِ .

فهي لم تُظهِرِ العَدَاءَ لَهُنَّ، رُغْمَ شِدَّةِ غَضَبِهَا عَلَيْهِنَّ، لِمَاضِيٍّ تَنْفِيذِ خُطْبِهَا،  
وذلك بِأَسْتَدَارِجِهِنَّ إِلَى حَيْثُ تُرِيدُ، فَكَانَ أَنَّ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِنَّ.

اللطفية الرابعة: في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْهِنَّ﴾.

لقد أنتهى الإعلامُ حَوْلَ هذا الأمرِ بهاتينِ الكلمتينِ.

من جديد، نَجِدُ أَنَّ النَّصَّ الْقِرَائِيَّ يَسْمَحُ لَنَا بِإِبْجَازِهِ، بِالتَّدْخُلِ الشَّخْصِيِّ  
لرَبِطِ الْأَحْدَاثِ، فَجَاءَتِ الْعِبَارَةُ عَامَةً، تَحْمِلُ قَوْرَ سَمَاعِهَا أَوْ قِرَاءَتِهَا، إِحْتِمَالَاتِ  
عَدَّةٍ، دُونَ جَزْمٍ:

﴿فقد تكونُ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِنَّ دَعْوَةَ لِرِيزَةِ تَسَامُرٍ وَتَنَادُمٍ عَادِيَةٍ.

﴿وقد تكونُ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِنَّ كِتَابَ عِتَابٍ.

﴿وقد تكونُ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِنَّ أُعْطِيَةً لِكَفِّ أَلْسِنَتِهِنَّ عَنْهَا.

وَتَعَدُّدِ الْأَحْتِمَالَاتِ دُونَ جَوَابٍ مُبَاشِرٍ، يَحْفَظُنَا عَلَى الْأَنْشِدَادِ لِمَتَابَعَةِ سِيرِ  
أَحْدَاثِ الْقِصَّةِ. فَإِذَا بَتَّمَةِ الْآيَةِ تُوجَّهْنَا إِلَى تَثْبِيَتِ الْأَحْتِمَالِ الْأَوَّلِ وَهُوَ أَنَّهَا  
أَرْسَلْتَ إِلَيْهِنَّ تَدْعُوهُنَّ. وَإِلْغَاءِ الْأَحْتِمَالَاتِ الْأُخْرَى، فِي حَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ جَدًّا لَا  
تَتَجَاوَزُ جُزْءًا مِنَ الثَّانِيَةِ، تَتَكَرَّرُ مَعَنَا آلَافَ الْمَرَّاتِ، فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ، بَيْنَ نَصَبِ  
الْأَحْتِمَالَاتِ، وَالْأَخْتِيَارِ بَيْنَهَا، وَتَثْبِيَتِ أَفْضَلِهَا، وَإِقْصَاءِ الْأُخْرَى. وَهَذِهِ الْعَمَلِيَّةُ  
هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ، رَمْزُ الْوَعْيِ وَالْإِدْرَاكِ عِنْدَنَا.

ثم يقولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مُتْكَأً﴾.

فِي هَذَا الشَّطْرِ مِنَ الْآيَةِ، تَنْفِيذٌ لِلْمَرَحَلَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ خُطَّةِ أَمْرَةِ الْعَزِيزِ، فَإِذَا  
بُنَا نَفْهَمُ:

أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ظَاهِرِهَا مُسَالِمَةٌ، بَلْ وَدِيَّةٌ تَقْرِيْبِيَّةٌ.

وَأَنَّ النَّسْوَةَ لَبِّيْنِ الدَّعْوَةَ، رُغْمَ مَا قَدْ يَعْتَرِينَا مِنْ اسْتِغْرَابٍ: هُنَّ يَتَحَدَّثْنَ عَنْهَا

بالسوء، فإذا بها تَدْعُوهُنَّ لزيارةِ وُدِّيَّة. الدعوةُ مُسْتَعْرَبَةٌ، وتلبيتها أيضاً مُسْتَعْرَبَةٌ. لكننا نُذَرِكُ أَنَّ فِطْنَةَ وَدَكَاءِ أَمْرَاءِ الْعَزِيزِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى مَكَانَتِهَا السُّلْطَوِيَّةِ، تُحَوِّلُ الدَّعْوَةَ إِلَى أَمْرٍ بِالْحَضُورِ، وَنَفْهَمُ مِنْ تَعْبِيرِ الْقُرْآنِ بِإِعْدَادِ الْمُتَّكِّأِ، أَنَّهَا أَتَّخَذَتْ إِجْرَاءً أَسْتِثْنَائِيًّا لِأَجْلِ إِطَالَةِ أَمْرِ الزِّيَارَةِ، وَذَلِكَ بِالْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الْمَادِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُوبِ الْجُلُوسِ، مَعَ تَحْضِيرِ النَّفْسِ عَلَى الْمُكُوثِ، وَهَذِهِ بَعْضُ مِنْ أَدْوَاتِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ الْخَفِيَّةِ، غَيْرِ الْمُعْلَنَةِ، الَّتِي يَعْتَمِدُهَا الْحَادِقُ كَعُنْصُرٍ مِنْ عُنَاصِرِ حُطَّتِهِ، لِلْوُصُولِ إِلَى هُدْنَةٍ بِمُسَاعَدَةِ خَضْمِهِ، بِمَا يَكُونُ قَدْ تَحَضَّرَ فِي نَفْسِهِ مِنْ شُعُورٍ بِالطَّمَأْنِينَةِ، أَوِ الْاِسْتِسْلَامِ، أَوِ الثَّقَةِ أَوِ الْأَنْبَهَارِ أَوِ الْخَشْيَةِ.

والتاريخُ زَاخِرٌ بِالْأَمْثَلَةِ، كَحَالِ الْمَلُوكِ الَّذِينَ يَضْعُونَ مَجَالِسَهُمْ فِي نَهَائِيَّةِ مَسَارِ طَوِيلِ زَاخِرٍ بِالْأَعَاجِيبِ وَالْفَنُونِ، يَسِيرُ فِيهِ الزَّاوِرُ فْتَمْتَلِيءُ نَفْسَهُ بِالرَّهْبَةِ وَالْأَنْبَهَارِ، حَتَّى إِذَا مَا وَصَلَ إِلَى الْمَلِكِ، كَانَتْ صُورَتُهُ فِي نَفْسِهِ مُتَضَخِّمَةً مُسْتَرَهَبَةً.

أَوْ كَمَثَلِ حَالِ رَجُلِ الْأَعْمَالِ الَّذِي يُغْلِي مَكْتَبَهُ وَكُرْسِيَّهَ، وَيُخْفِضُ كُرْسِيَّ الْجَالِسِ قُبَالَتِهِ، بِهَدَفِ التَّأثيرِ النَّفْسِيِّ عَلَيْهِ، لِإِشْعَارِهِ بِالذُّوَيْتَةِ، وَالْأَمْثَلَةِ مِنْ وَاقِعِ الْحَيَاةِ كَثِيرَةٍ.

أَمَّا مَا فَعَلَتْهُ أَمْرَاءُ الْعَزِيزِ مِنَ الْمَوْثِرَاتِ النَّفْسِيَّةِ:

فَهِىَ أَنَّهَا دَعَتْ النُّسُوءَ فِي حَمَاءَةِ حَدِيثِهَا السَّيِّئِ عَنْهَا.

وَجَعَلَتْ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا وَثِيرًا، تَضَعُ فِيهِ مَخَاوِفَهَا وَشُكُوكَهَا فِي نَوَايَا سَيِّدَةِ الْقَضْرِ جِيَالِهَا.

مِمَّا يُشْعِرُهَا بِالطَّمَأْنِينَةِ، وَتَصْبِحُ أَكْثَرَ قَابِلِيَّةً لِأَسْتِيعَابِ الْحَدَثِ اللَّاحِقِ، كَمَا خَطَّطَتْ أَمْرَاءُ الْعَزِيزِ.

بَلْ تُضْبِحُ عَلَى اسْتِعْدَادِ لِلتَّعَاطُفِ بَعْدَ نَبْذِ الْكَيْدِ وَالْمَكْرِ الَّذِي سَمِعْنَا بِهِ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ.

فتنقلبُ بذلك المشاعرُ من عداٍ، وتوجسُ وشكوكٍ، إلى تسامحٍ، فتعاطفُ فأنحيازُ.

ولا يفوتنا أن نُشيرَ إلى أن الاتكاءَ بحدِّ ذاته، في غير حالة الأسترخاءِ المطلوبِ للراحةِ من أثرِ التعبِ والعناءِ، أو التحضيرِ للنومِ مثلاً، وفي غيرِ خصوصيةِ الإنسانِ في مهجَعِهِ، إنَّ الاتكاءَ عند الأكلِ مذمومٌ في الشرعِ، لأنه من عادةِ المُتَرَفِّينِ والمتكبرينِ، ولذلك نُهيي عنه، فقد أخرجَ ابنُ أبي شَيْبَةَ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَأْكَلَ الرَّجُلُ بِشِمَالِهِ وَأَنْ يَأْكَلَ مُتَكَبِّئاً.

[رقم الحلقة على القرص المدمج ٢٧]

ثم يقولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا﴾.

في هذا الشطرِ مِنَ الآيَةِ، لطائفُ عدة:

**اللطيفة الأولى:** في إظهارِ الأهمِّ، وإخفاءِ ما لا يَهُمُّ القارىءَ والمستمعَ معرفتهُ، مما أعطتهنَّ مَعَ السكائينِ، ففي مثلِ هذه الأجماعاتِ، يُقدَّمُ طعامٌ أو شَرَابٌ.

ولعلها قَدَمَتْ لهنَّ فاكهةً، أو طعاماً يَحْتَاجُ وجودَ السُّكِينِ لِتَقْطِيعِهِ، في حين أن الواحدَ منا يرى أن الأهمَّ فيما يقدَّمُ إليه حَبَّةُ الفاكهةِ، حيث يُلقِي بِأَهْتِمَامِهِ وتركيزِهِ عليها، ويكونُ وجودُ السكِينِ ثانوياً، لا يُلقِي إليه بالاً، وكأنه تحصيلٌ حَاصِلٌ، جاءتِ الآيَةُ الكريمةُ بصيغَتِها، لِتَقْلِبَ معادلةَ الأهتماماتِ في أسماعِنَا وأنظارِنَا، تحضيراً لما سيكونُ مِنْهُنَّ في لاحقِ الآياتِ.

**اللطيفة الثانية:** في استمرارِ تَتَبُّعِنَا لأمراةِ العزيزِ في خُطَّتِها، وتأمُّلِنَا لقوةِ ذكائِها وفَهْمِها العميقِ لأحوالِ النفسِ الإنسانيةِ، فنفهمُ في هذا البندِ من خُطَّتِها:

أنها جعلت من وجود السكاكين في أيدي النسوة، هدفاً في هذه المرحلة من الخطة، فأعملت مبدأ التورية، بأن قدمت لهن طعاماً لا يؤكل إلا باستعمال السكين، ما يجعل وجوده مبرراً دون إثارة الشكوك.

ونفهم أنها رمت من خلال وضع السكاكين بين أيديهن، إلى تحويل الواقعة المنتظرة، إثر ظهور يوسف عليه السلام، وخروجه عليهن إلى واقع مادي ملموس، يضع عليهن إنكاره لاحقاً، ويثبت تأثرهن الجماعي بما تأثرت به منفردة.

ونفهم أنها واثقة تمام الثقة، بما ستكون عليه ردة فعلهن عند رؤية يوسف عليه السلام، ومعرفتها بتأثير الأنهار على الأفعال، وضياح الرشد حال الانبهار.

**اللطفية الثالثة:** في ملاحظة الانتقال من العام إلى الخاص، في تدرج تصويري بديع: فهي أرسلت إليهن: الصورة عامة؛ ثم أعتدت لهن متكاً: هنا أيضاً: الصورة عامة: ثم آتت كل واحدة منهن سكيناً: الصورة خاصة بكل واحدة منهن، وهذا منتهى التصوير، لأنه بعد ذلك، سنعود إلى العام فيما يلي من الآية.

ثم يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ اللَّهُ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

في هذا الشطر من الآية، لطائف عدة.

**اللطفية الأولى:** في بلوغ التهيئة النفسية أقصاها، عندما وصلت إلى المرحلة الأخيرة من خطتها بأن قالت: أَخْرِجْ عَلَيَّ. ففي هذا اللحظة، كانت هي في أعلى درجات الأنفعال لأنها بذلت جهداً كبيراً في إعداد الخطة، ثم في تنفيذها، ثم في ضبط أعصابها وإخفائه حتى استكمال كافة المراحل الأولى. وعند خروجه عليهن، انتهى دورها في الحشد العاطفي، وبدأت نفسها بالعودة

التدرجية إلى الهدوء. العكس في ذلك، حَصَلَ مَعَ النَّسْوَةِ اللواتي كُنَّ فِي حَالِ أَسْرَخَاءٍ وَهْدُوءٍ إِلَى أَنْ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ يَوْسُفٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِطَلَّةٍ بَهِيَّةٍ، وَجَمَالٍ فَائِقٍ أَخَاذٍ، فَإِذَا بَهَنَ مَجْتَمَعَاتُ، يَتَفَاعَلْنَ مَعَ الْحَدَثِ، وَبِتَبَدُّلِ الْهَدُوءِ لَدَيْهِنَّ أَنْفَعَالاً وَتَوْتَرَأَ، يَصِلُ إِلَى حَدِّ الْإِرْبَاكِ.

وما أَسْرَعَ ما تَبَدَّلَ الْحَالُ الْعَاطِفِيَّةُ عِنْدَ الْإِنْسَانِ، مِنْ هَدُوءٍ إِلَى أَنْفَعَالٍ وَهِيَاجٍ، وَمِنْ سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، إِلَى حَرَكَةٍ وَنَشَاطٍ.

**اللطفة الثانية:** في وقوفنا عند مجريات الحدث بدقة:

فالنَّسْوَةُ لَا يَغْرِفَنَّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَرَيْنَهُ أَبَدًا، وَلَمْ يَسْمَعَنَّ بِتَأْثِيرِهِ الْأَخَاذِ عَلَى مَنْ يَرَاهُ، فَهِيَ لَا تُظْهِرُهُ عَلَى الْمَلَأِ.

والمعتاد في مثل هذه الاجتماعات، أن يدور الخدم على الزائرين لخدمتهم، دون أن يلتفت الزائر إلى شخص الخادم الذي يبقى وجهه مُبْهَمًا، حتى وإن رآه الزائر، فإنه يَمْحُوهُ مِنْ ذَاكِرَتِهِ مَبَاشَرَةً.

إلا أنه في وَضْعِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ يَكُنْ مَرُورُهُ حَدَثًا عَابِرًا، بَلْ إِنَّ مَجْرَدَ ظَهْوَرِهِ أَضْبَحَ الْحَدَثَ كُلَّهُ: فَانْتَهَتْ كُلُّ الْأَنْشِغَالَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْجَانِبِيَّةِ، الْهَامَةِ وَالْهَامِشِيَّةِ، وَأَنْتَهَى الْأَهْتِمَامُ بِالطَّعَامِ، فَأَخَذَ الْأَلْبَابَ، وَسَرَقَ الْأَنْظَارَ، وَأَذْهَبَ الْعُقُولَ، وَأَزْحَى الذُّهُولَ.

وهذا الأمر حدث مع كل النسوة، مما يؤكد الإجماع على أن تأثيره على الحاضرات كان مُوَازِيًا لِيَقِينِ أَمْرًا عَزِيزٍ بِحُصُولِ هَذَا الْأَثَرِ.

**اللطفة الثالثة:** في وقوفنا عند قول الله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

وفي هذا إشارة إلى حال من أحوال العقل البشري في أدائه لمهامه:

فإنَّ الْعَقْلَ حَالَ الْيَقِظَةِ وَالْحَضُورِ، يَكُونُ مُسَيِّطَرًا عَلَى كُلِّ الْحَرَكَاتِ

والأفعال والأقوال، التي تَصُدُّرُ عن الجسم، ويوافقُ على صدور ما يراه مُناسباً، لحفظِ الجسم، وحِفْظِ الحياة، والمحافظة على الأنضباطِ ومُراعاةِ أحكامِ تعاملِ الناسِ فيما بينهم، والخضوعِ لضوابطِ المجتمع، والانتباهِ للأعرافِ والتقاليد، والظهورِ إلى العلنِ بمظهرٍ يتوافقُ معَ السلوكِ العامِ للمجموعةِ البشرية، التي ينتمي إليها، وفي حالِ ثباتِ الإيمانِ، الخضوعَ لأحكامِ الشرعِ في الأوامرِ والنواهي، وملاحظةِ الحلالِ والحرامِ، ومُقارِبَةِ الخَيْرِ وأجتنابِ الشرِّ.

وَيَمُرُّ العَقْلُ أحياناً بحالاتٍ يَذْهَلُ فيها عَن هذه الضوابطِ، دون أن يفارقه حالُ اليَقَظَةِ والحضورِ، خصوصاً عندَ الدهشةِ والأنبهارِ، فيصيبُه نوعٌ مِنَ الجمودِ والارتباكِ، حتى درجة السَّلَلِ المؤقتِ، فلا يَعُودُ مالِكاً لكلِ حركةٍ أو سَكَنَةٍ، ويمكنُ للمراكزِ العصبيةِ السُّفلى أن تتفلَّتَ مِنْ سيطرته فتأمرُ الأطرافَ بأوامرٍ قد لا تكونُ خاضعةً لما دَكَّرنا سابقاً مِنْ ضوابطِ الحفظِ والمراعاةِ.

وهذا ما حَصَلَ معَ النُّسوةِ حينَ رَأَيْنَ يوسفَ عليه السلام: تاهتِ العقولُ حينَ أخذها جَمالُه وبهاؤُه، فأعمَلتْ أَيْدِيهِنَّ والسكاكينُ فيها تجريحاً بكلِ ما وَصَلتْ إليه بما فيها أَيْدِيهِنَّ.

**اللطفية الرابعة:** في إعلامنا بمعرفةِ المجتمعِ الفرعوني، زَمَنَ يوسفَ عليه السلام، بالله جَلِّ جلالُه، ومعرفةِ بوجوده، ووجودِ الملائكةِ. إلا أنه لم يَكُنْ مجتمعاً مؤمناً مُوحِداً بالله عزَّ وجل، على ما سَنرى في لاحقِ الآياتِ مِنْ دعوةِ يوسفَ عليه السلام، لِمُسَاكِنِيهِ إلى عبادَةِ الله الواحدِ الأحد.

**اللطفية الخامسة:** في صيغةِ المبالغةِ التي تجلَّتْ في أبلغِ صورها في كيفيةِ اجتِهَادِ النُّسوةِ في وصفِ جمالِ يوسفَ عليه السلام. فلم تَقُلِ النُّسوةُ: إنه جميلٌ..

بل لم يَقُلن: إنه أجملُ ما رأَتْ أعينُننا، بل تجاوزن الحقيقةِ إلى المَجازِ، وَخَلَطن الحاضرَ بالخيالِ، فقلن: ﴿ما هذا بَشْراً إن هذا إِلا مَلَكٌ كريمٌ﴾.

### مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

- ١ - للدلالة على إستعمار حالة الصراع بين النسوة حال نشوبها مع اعتماد كل وسائل المجابهة والدفاع، سواء الذهنية، أو العقلية، أو العاطفية، أو الكلامية، أو العملية الفعلية.
- ٢ - للدلالة على أن المرأة سريعة الغضب، سريعة الأنفعال وسريعة التصرف، إذا ما عقدت العزم على أمر، فأنها لا تتوانى عن الإسراع في تنفيذه.
- ٣ - للدلالة على سرعة بديهة المرأة وقدرتها على الحكم على الأمور وإنزالها منازلها الصحيحة، وذلك بالإشارة إلى اعترافهن بقوة تأثير جمال يوسف عليه السلام على امرأة العزيز.

ثم يقول الله تعالى:

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زَادْتُهِ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعَصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

[رقم الحلقة على القرص المدمج ٢٨]

نصلُ معاً أخي المؤمن مع هذه الآية إلى الاعتراف الصريح الكامل من امرأة العزيز بما كان منها من مُراوذة يوسف عليه السلام عن نفسه، وذلك بتصريح علني على مسمع الملاء، إلا أنها ما أدلت بأعترافها توبةً وندماً وأستغفاراً، بل لتُعْلِنَ عن إصرارها ومُثَابَرَتِهَا على المِراوذة، بعد أن أوقعت النسوة فيما نَصَبَتْ لهنّ من فِخِ الذُّهُولِ والانبهارِ بجمالِ يوسف عليه السلام، وثَبَّتْ عليهنّ ذلك بالدليل الماديّ بأذيتهنّ لأنفسهنّ بالسكاكين، وجعلت منهنّ، طائعاتٍ أو مجبرات، سنداً لها في مَطْلَبِهَا.

يقول الله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾

### في هذا الشطر من الآية، لطائف عدة.

**اللطيفة الأولى:** في كلمة ﴿فَذَلِكُنَّ﴾، وهي تستعمل أصلاً للإشارة للبعيد، إلا أنها تستعمل أيضاً للقريب حال التعظيم والتمجيد، كمثّل قولك: ذلك البطل العتيد، وهو أمّامك.

نشيرُ إلى هذه اللطيفة في بداية الآية، لكي نصل إلى حقيقة شعورِ امرأة العزيزِ جِيالِ يوسف عليه السلام في هذه اللحظات: فبعد تصاعدِ حُبها له، ووصولهِ الذروة حينَ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ، وبعدَ أَنْطَفَاءِ وَهْجِهِ عندَ المواجهةِ أمامَ زوجها، وبعدَ تَخَاذُلِ العزيزِ عنِ اتِّخَاذِ إِجْرَاءٍ فوريٍّ حَاسِمٍ لتأديبها، ممّا شَجَّعَهَا على الاستمرارِ في طريقِ الميلِ إلى يوسفَ وطلبه، ها هي ذي في هذه الآية، تعودُ فيتصاعدُ شعورُها بالأنجذابِ نحوَ يوسفَ عليه السلام، فتبدأ حديثها بإعلاء شأنه أمّامَهَنَ بقولها: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لِمْتَنِي فِيهِ﴾.

**اللطيفة الثانية:** في وَقُوفِنَا على مَذَلُّوَاتِ قولها: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لِمْتَنِي فِيهِ﴾ وكأنها تقول: الآن وقد مَلَكْتُنِي الدليلَ الماديّ على تَأَثُّرِكُنَّ بجمالِهِ ووقوعِكُنَّ تحتَ تأثيرِ حُسْنِهِ، فلقد أعطيتُنِي صكَّ البراءة، وأثبتنَّ أَنَّ كُلَّ واحدةٍ منكنَّ لو كانتِ مكاني، لكانتِ فَعَلتِ مثلي، فأئِي فضلُ لِكُنَّ عليّ؟ وما لزومُ مجالسِكُنَّ للتشهيرِ بي؟ وقد فعلتنَّ أشدَّ ممّا فَعَلتِ: فَإِنَّ مجردَ رؤيتِكُنَّ له مرةً واحدةً، أَذْهَبَتْ عُقُولَكُنَّ، فأذيتنَّ أنفسَكُنَّ بالسكاكين، فكيفَ بمن تراه كلَّ يومٍ وفي كلِّ ساعة؟

**اللطيفة الثالثة:** فيما نرى مِنْ تَحَوُّلٍ في موقفها عمّا كانت عليه حينَ دافعت عن نفسها أمّامَ زَوْجِهَا عندَ الباب: فهناك كانت تُحاولُ تبرئةَ نفسها بالتزوّجِ عن المراودةِ وإظهارِ يوسفَ عليه السلام، بصورةٍ مقبّيةٍ مكروهةٍ بأنه هو الذي أرادَ بها سوءاً.

أما هنا، فهي تحاولُ تبرئةَ نفسها بإثباتِ المراودة، وذلك بالتماسِ العُذرِ بحتميةِ حصولِ المراودة، على مسمعٍ منَ النساءِ، وفي مجتمعِ النساءِ، وبالمقابل، إظهارِ يوسفَ عليه السلام، بصورةِ حسنةٍ وعالية، وكأنها تتباهى به أمامَ النساءِ، أنه حُطِّبَتْهَا وَتَحَّتْ إِمْرَتَهَا.

ثم يقولُ الله تعالى على لسانِ امرأةِ العزيز: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾.

### في هذا الشطرِ مِنَ الآيَةِ، لطائفُ عدة:

**اللطيفة الأولى:** في ابتداءِ العبارةِ بكلمةِ ﴿وَلَقَدْ﴾ وفيه تأكيدٌ جازمٌ على حصولِ المراودةِ منها، وأعترافٌ صريحٌ دونَ حُشْيَةٍ، بل بَصْلَفٍ وإِصرارٍ، نُسَمِّيهِ فِي لُغَتِنَا وَقَاحَةً، بأنها كانتِ داعيةً إلى الفَاحِشَةِ.

**اللطيفة الثانية:** في ملاحظتنا لظهورِ معالمٍ جديدةٍ في نفسيةِ امرأةِ العزيز: فبعد الذي عهدناه فيها من ذكاءٍ وحُكْمَةٍ وتخطيطٍ، نراها في هذه الآيَةِ، تَفْقِدُ صَبْرَهَا وَحِذْرَهَا، وَتَعْتَرِفُ أَمَامَ جَمْعِ مِنَ النِّسَاءِ تَعْرِفُ مِنْ قَبْلُ أَنَّهُنَّ يَتَرَبَّضْنَ بِهَا، وَأَنْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ قَدْ تَكُونُ شَاهِدًا عَلَيْهَا لَاحِقًا، فِيمَا يُشْبِهُ الْأَنْهِيَارَ الْكَامِلَ فِي دِفَاعِهَا، فِي ظِلِّ تَصَاعُدِ تَعَلُّقِهَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ، مِنْ جَدِيدٍ، وَهِيَ تُوَشِّكُ أَنْ تَصِلَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ إِلَى مَرِحَلَةِ اللَّارْجُوعِ ذَاتِهَا فِي الْمَرَاوِدَةِ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ، دُونَ حِذْرٍ، وَمِنْ غَيْرِ إِغْلَاقِ أَبْوَابٍ، وَعَلَى مَرَايٍ وَمَسْمَعٍ جَمْعٍ غَفِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ.

**اللطيفة الثالثة:** لغوية، في سَمَاعِنَا لِكَلِمَةِ: ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾.

أي: طَلَبَ الْعِصْمَةَ وَتَمَسَّكَ بِهَا وَعَصَانِي، وَالْأَسْتَعْصَامُ بِنَاءٌ مُبَالَغَةٌ، يَدُلُّ عَلَى الْأَمْتِنَاعِ الْبَلِيغِ وَالتَّحْفُظِ الشَّدِيدِ، وَكَأَنَّهَا تَقْصِدُ الْقَوْلَ: لَقَدْ مَانَعَ مُمَانَعَةً شَدِيدَةً.

والحقيقة أن ممانعته كانت على مستويين: قولي عندما قال: معاذ الله .  
وفعلي، عندما قرأ منها باتجاه الباب .

ثم يقول الله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿ولئن لم يفعل ما أمره لانسجتنَّ  
وليكونا من الصاغرين﴾ .

في هذا الشطر الأخير من الآية، لطائف عدة:

**اللطيفة الأولى:** في تصاعد الوتيرة بصورة تدريجية، في كلام امرأة العزيز،  
مما يُترجم تصاعد الحال النفسية لديها، حتى بلوغ الدورة، فقد بدأت كلامها  
في الآية الكريمة على وتيرة هادئة، ولكن واثقة مطمئنة، حين أوجدت لنفسها  
العذر في حُبها ليوسف عليه السلام، ثم تصاعدت هذه الوتيرة عند اعترافها  
العَلنيِّ بمراودته مُترافقة مع تنامي شعورها بالانجذاب من جديد نحو يوسف عليه  
السلام، وصولاً إلى التهديد ليوسف في حال عدم الانصياع، بعد أن بلغت  
مُستوى الإغلاق المُطبِق، إذ لم تُعد ترى بعينها ولا أمام ناظرها إلا تلبية  
رغباتها .

**اللطيفة الثانية:** في وقوفنا عند كلمة: ﴿لانسجتنَّ﴾

إننا نفهم توعدّها له بالسجن فيما لو كان مذنباً، أو فيما لو ثبتت عليه تُهمة  
حتى ولو كان بريئاً .

أما أن تعترف بلسانها أنها هي المُذنبية، ثم تدعوهُ إلى المعصية وتهددهُ  
بالسجن في حال رُفضه، فإنه الذروة في الظلم .

وغريب جداً أن نسمع منها تهديداً بالسجن . فالذي يسجن هو سيدها،  
وكانها تقول له: لئن لم تأت بالفاحشة معي، فيسجنك زوجي؟! أي أنحدار هذا  
الذي وصلت إليه .

**اللطيفة الثالثة:** في وقوفنا عند مقارنة حالها يوم حادثة القصر، وحالها في هذه الآية.

**ففي الحالة الأولى:** تجملت وتهيات وتوددت ودعته بعد ذلك إلى نفسها منتظرة منه التجاوب، فما نالت منه شيئاً.

**وفي الحالة الثانية:** لم تتهياً، ولم تتودد، بل لم تلتفت إلى احتمال تجاوبه أو عدمه، وقامت بتوجيه الأوامر السلطوية العليا إليه، ثم قامت بتهديده.

**اللطيفة الرابعة:** في استكمال المقارنة بين أحوالها في الموقفين:

**ففي الموقف الأول:** حين كانت موضع الإرباك والتبرير بين يدي العزيز قالت: ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابَ أَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

**وفي الموقف الثاني:** قالت: ﴿لَيْسَجَّنَ وَلِيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

فوجد أن الموقف الأول كان أخف وطأة، رغم أنها كانت لا تزال في موقع المدعي القوي، فقد قدمت خيارين، أما في الموقف الثاني، فأستعملت صيغة الدمج بين العقوبات، والتأكيد عليها من طريقتين:

**الأول:** بإدخال نون التوكيد.

**الثاني:** بإثقال النون في السجن بقولها: ﴿لَيْسَجَّنَ﴾.

وفي هذا استمراراً للحرب النفسية التي تشنها على يوسف عليه السلام عسى أن يضعف، ويعطي تحت التهديد، ما لم يُعط تحت الإغراء.

(١) [سورة يوسف، الآية: ٢٥].

### مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

- ١ - للدلالة على أن الصالح في ذاته، المسالم المتجنب للمشاكل، ليس بمنأى على لحاق المشاكل به، تلبساً وافتراء.
- ٢ - للدلالة على جرأة الإنسان حين تعمى بصيرته، على التبعية العمياء لنزواته وشهواته، واستعداده لإيقاع الظلم بالآخرين فيما لو لم ينفذوا له مراده.

ثم يقول الله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصْرَفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣)

[رقم الحلقة على القرص المدمج: ٢٩]

تقربُ بنا الآيةُ الكريمةُ أخي المؤمن، من نهايةِ مشهدِ مجلسِ النُسوةِ، في هذا الفضلِ من قصةِ يوسفَ عليه السلام، وقد رأينا مع الآية السابقة، جرأةَ امرأةِ العزيزِ في الإفصاحِ علناً عن تولُّفها بيوسفَ عليه السلام، وأتباعها أسلوبَ الأوامرِ السُّلطويةِ عليه، لإجباره على طاعتها، وتهديده بالسجنِ والصَّغارِ في حالِ عدمِ الإجابةِ والتلبية. فما كان جوابُ يوسفَ عليه السلام؟

يقولُ الله تعالى: ﴿قال ربَّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾

في هذا الشطرِ من الآية، لطائفُ عدة:

**اللطيفة الأولى:** في صيغةِ جوابِ يوسفَ عليه السلام: النُسوةُ يوآزرُنَ امرأةَ العزيزِ في طلبها، فإذا به يضبحُ في مواجهةِ جمعِ من النساءِ، بدَل أن يكونَ في مواجهةِ امرأةٍ واحدة، فلم يتقو بقوَّته، والتجأ إلى الله تعالى مناجياً ربَّه، ولم يلتفتِ إليهنَّ لمُجَابَهَتِهِنَّ، فلقد أعلنت براءتهُ قبلاً، بعدَ رُفضِهِ المرادة. ولم يجذ

لدى العزيزِ مِنَ الْعَيْرَةِ ما يُنْصِفُه، ولن يَجِدَ هذه المرةَ أيضاً، ما يُنْجِدُه، فكانَ جوابُه أنِ أَخْتارَ ما تُهَدِّدُه به، مُفَضَّلاً إِيَّاهُ على الرُّضوخِ لها.

**اللطيفة الثانية:** في جمالية الأسلوبِ القرآني، في الردِّ على مَطْلِبِهِنَّ، فلم يَذْكَرْ يوسفُ عليه السلام ما يَطْلُبْنَهُ، أي أقرَّافَ فاحشةِ الزنا، وأكْتَفَى بالتعريضِ فقال: ﴿ما يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾، وفي هذا تعليمٌ لنا في أُنْتخابِ أَلْفاظِنَا، وتَخْيِيرِ أَكْثَرِها أَدْباً وَلباقَةً.

**اللطيفة الثالثة:** في العِبْرَةِ التي نَأْخُذُها مِنْ حِكْمَةِ يوسفَ عليه السلام، وقد أُوتِيَ منها باليقينِ القَطْعِيِّ في نَصِّ القرآن.

ففي الموقفِ الذي وُجِدَ فيه يوسفُ عليه السلام، كانتِ الخياراتُ صعبةً ومؤلمةً:

فأَيُّ مِنا يَخْتارُ أنْ يُسْجَنَ ظُلْماً وَعُدواناً، وهو يَغْرِفُ ذلك، وظالِمُهُ يَغْرِفُ ذلك، والْحَكْمُ يَغْرِفُ ذلك، وسجانه يَغْرِفُ ذلك، إلا إذا كان الخِيارُ الأخرُ أشدَّ مرارةً وَرَهْبَةً؟

فيما امرأة العزيز تَتَكَلَّمُ بلهجةِ الواثقة من تنفيذِ وَعِيدِها، وكأنها تُدَبِّرُ خُطَّةً أُخرى مُحْكَمَةً تَضْمَنُ بها إِذْخالَهُ السُّجْنَ، ولا يُعْوزُها الكِذْبُ أو الحِيلَةُ..

من هنا نَلْتَمِسُ القاعدةَ البَشَرِيَّةَ الهامةَ، التي وَصَلَ إليها يوسفُ عليه السلام، وأوصَلها إلينا القرآنُ الكريم: حرمانُ النفسِ مِنْ بَعْضِ مُتَطَلِّباتِها، أَفضَلُ مِنْ مَعْصِيَةِ الله تعالى.

**اللطيفة الرابعة:** في تأمُّلِنا للحالِ النفسيَّةِ التي وَصَلَ إليها يوسفُ عليه السلام، حينِ نَاجَى رَبَّه: فقد بَلَغَ مِنَ الضيقِ والحصرِ مَبْلَغاً يَفوقُ المَدَى الذي وَصَلَ إليه وقتَ مُراودِتها الأولى. فقد كانَ جوابُه في المرةِ الأولى مقتضباً

بقوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، أَعَقَبَهُ تَصَرُّفٌ مَادِيٌّ بِمَغَادِرَةِ الْغُرْفَةِ، وَلَمْ تَكُنِ الْمَرَاوِدُ الْأُولَى مَصْحُوبَةً بِالْتَهْدِيدِ وَلَا بِالْوَعِيدِ، أَمَّا الْمَرَاوِدُ الثَّانِيَةُ فَقَدْ حَصَلَتْ بَعْدَ شَخْنِ نَفْسِي شَدِيدٍ، وَتَمَهِيدِ عَمَلِي وَاقِعِي بِاسْتِجْلَابِ نُضْرَةِ النَّسْوَةِ، وَتَأْلِيهِنَّ عَلَيْهِ، مَعَ مَرَارَةٍ تَجْرِبِيَةٍ تَخَاذُلِ الْعَزِيزِ فِي الْحَكْمِ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ. فَإِذَا بِهِ مُحَاصِرًا مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ:

◀ مِنْ جِهَةِ أَمْرَةِ الْعَزِيزِ، الَّتِي تُرَاوِدُهُ عَنِ نَفْسِهِ، بِاللِّحَاحِ بِالْغِ.

◀ وَمِنْ جِهَةِ النَّسْوَةِ اللَّوَاتِي يُؤَيِّدْنَ وَيُسَجِّعْنَ أَمْرَةَ الْعَزِيزِ.

◀ وَمِنْ جِهَةِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَنْ يَكُونَ مَوْقِفُهُ أَفْضَلَ مِنَ الْأَوَّلِ.

◀ وَمِنْ جِهَةِ السِّجْنِ الْمَائِلِ أَمَامَ نَاطِرِيهِ.

إِنَّهُ حَقًّا مَوْقِفٌ لَا يَخْتَمِلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ!

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا تَضْرِبْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

فِي هَذَا الشُّطْرِ مِنَ الْآيَةِ، لَطَائِفُ عِدَّة:

**اللطيفة الأولى:** فِي إِعْلَامِنَا غَيْرَ الْمُبَاشِرِ، بِحَصُولِ تَحْوُلٍ أَكِيدٍ فِي مَوْقِفِ النَّسْوَةِ مِنَ الْمَسْأَلَةِ، بِاتِّجَاهِ تَأْيِيدِ أَمْرَةِ الْعَزِيزِ فِي مَطْلَبِهَا، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ خَطِيرَةٌ، نَفَهُمْ مِنْهَا مَا يَلِي:

حَصُولِ إِجْمَاعٍ عَنِ نُضْرَةِ الْبَاطِلِ عِنْدَ تَحْوُلِ مَوْقِفِ الْمَجْتَمَعَاتِ مِنْ رَفْضِ الْبَاطِلِ إِلَى تَأْيِيدِهِ..

(١) [سورة يوسف، الآية: ٢٣].

تَبَيَّنُ عُمُقَ فسادِ المجتمعِ الفِرْعَوْنِيِّ، حيثُ لم توجد امرأةٌ واحدةٌ رشيدةٌ من بين المجتمعاتِ تَزِدُّهُنَّ عَنْ دَعْوَتِهِنَّ إِلَى الباطِلِ.

وَتَبَيَّنُ مِنْ قَوْلِ يوسُفَ عليه السلام، إقدامِ النسوةِ على إعمالِ الكيدِ في دَعْوَتِهِنَّ، أي التحايلِ لتحسينِ صورةِ الباطلِ لترغيبه به.

**اللطيفة الثانية:** في عبارة: ﴿تَضَرَّفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ إشارةٌ لغويةٌ جميلةٌ للتعبيرِ عن أفضلِ الحلولِ التي يراها للتخلُّصِ منهن:

فهو لم يَطْلُبْ مِنَ الله تعالى أَنْ يُبْعِدَهُنَّ عَنْهُ، وقد أَضْبَحْنَ كَثِيرَاتٍ بعدَ أَنْ كَانَتْ واحدةً، وقد تلجأ كلُّ واحدةٍ منهن بعدَ ذلك مَعَ بقاءِ الكيدِ لديها إلى محاولةٍ إغوائه بطرقها الخاصة.

وهو لم يَطْلُبْ أَنْ يُبْعِدَهُ عَنْهُنَّ، لأنَّ البُعْدَ الماديَّ، لا يَغْنِي شيئاً إذا ما أَسْتَمَرَ التأثيرُ الفكريُّ حاضراً.

فكانَ طلبه بأن يَضَرِّفَ اللهُ تعالى عنه كَيْدَهُنَّ، أفضلَ ما يمكنُ أَنْ يَطْلُبَهُ إنسانٌ وَجِدَ في مثلِ هذا الموقفِ.

**اللطيفة الثالثة:** في وقوفنا عندَ تحليلِ يوسفَ عليه السلام، لحالِ النفسِ البشريةِ عندَ تَعَرُّضِها المستمرِّ لضغوطِ الغوايةِ، فيما لو تُرِكَ لها أَنْ تَتَفَاعَلَ مَعَ هذه الضغوطِ. وكانَ كلامه المَوْجِزُ مُعْبِراً عن آليَةِ الوقوعِ في المعصيةِ. نتوقَّفُ عندها قليلاً، لأهميتها القُضْوَى في مجتمعاتنا على مرِّ الزَّمانِ:

لَقَدْ عَرَسَ اللهُ تعالى في الإنسانِ كَمَا هائلاً مِنَ الأحاسيسِ والعواطفِ تُساعدهُ في إتمامِ مُهمَّتهِ بالولايةِ في الأرضِ والسِّيادةِ على بقيةِ المخلوقاتِ فيها، وضبطِ التعاملِ مَعَ أمثاله مِنَ البَشَرِ، وأستمرارِ الحياةِ وَحِفْظِ النوعِ، وجعلَ اللهُ تعالى لهذهِ العواطفِ ضوابطَ مُحْكَمَةً تَضْبِطُها وتَمْنَعُها مِنَ التَّقَلُّبِ، لِمَا لَتَفَلَّتْها من آثارِ مُدْمَرَةٍ للمجتمعِ الإنسانيِّ.

وما ذاك إلا بالالتزامِ أحكامِ الله تعالى، فيما عَلَّمَ البشرَ بما أُرسلَ إليهم من شرائعِ ورُسلِ.

عند هذا الباب، وقفَ الشيطانُ اللَّعِينُ لِيُنْفِذَ إلى الإنسانِ بحضِّهِ على قَرْطِ العواطفِ مِنْ عَقَالِهَا، وإرسالِ العِنَانِ لها، مع ما نَعَرَفُهُ مِنْ أنصِياعِ الجوارحِ لِهِيَاجِ العَوَاطِفِ، ونختارُ مِنْ مجموعِ هذه التَّفَلُّتَاتِ، مسألةً واحدةً فقط، تتوافقُ مَعَ مَضمونِ الآيَةِ الكريمةِ، موضوعِ تأمُّلِنَا اليومِ، وهي مسألةُ خَطَرِ حُصولِ جُزْمِ الزِّنا:

فقد أصبحَ معروفاً اليومِ، أَنْ تَحْرُكَ إِفرازِ أنواعِ مخصصةٍ مِنَ الهرموناتِ في أجسامِنَا، بما قَدَّرَ اللهُ تعالى لها في أوقاتٍ مخصصةٍ من حياتِنَا، تبدأ مَعَ البلوغِ، وتمتدُّ طيلةَ فترةِ الحُصوبةِ، تُتْرَجَمُ عملياً مَيْلاً إلى الجِنسِ الآخرِ؛ هذه الهرموناتُ، تُحْرُكُ النفسَ، فتتحركُ مَعَهَا العواطفُ التي سَبَقَ ذِكْرُهَا. هنا يبدأ التفاعلُ ومعه يبدأ الصُّراعُ بين نوازعِ الخيرِ المتمثلةِ بالضوابطِ الشرعيةِ، ونوازعِ الشرِّ المتمثلةِ بوساوسِ الشيطانِ اللَّعِينِ وتزوينِهِ.

وفي جولةٍ سريعةٍ لمحاولةِ معرفةِ أسبابِ غلبةِ نوازعِ الشرِّ، وبالتالي حصولِ الزنا نجدُ ما يلي:

هناك أولاً صَغْفُ النفسِ، وَصَغْفُ الضوابطِ الإيمانيةِ، التي إِمَّا أَنْ تكونَ قد بُنِيَتْ بصورةٍ هَشَّةٍ ضعيفةٍ، أو لم تُبْنَ أساساً.

وتلك مسؤوليةُ الأهلِ الذين أنيطَ بِهِمُ البِنَاءُ فَلَمْ يَفْعَلُوا.

وهناك عدمُ الإحصانِ، مِمَّا يُضَعِفُ الدِّفاعاتِ التي قَدْ تَتَهَاوَى تحتَ ضَرَباتِ المُغْرِبَاتِ.

وهناك عدمُ تأديبِ النفسِ وتهذيبِها وتمارينها لتجاوِزِ المغرِبَاتِ.

فمن لم يَتَحَضَّرْ ويتَأَهَّلْ ويتمرَّنْ لمباراةِ الصراعِ مَعَ وساوسِ الشيطانِ، يَهْزُمُهُ من الجولةِ الأولى.

وهناك قوة المغريات الخارجية، رُغِمَ وجودُ الضوابط: وهذا العُنصر هو الذي يُرَكِّزُ عليه الشيطانُ في أيامنا: فهو لم يتركْ واحدةً مِنَ التَّقْنِيَّاتِ الحديثةِ، ولا الفتحَ العلميِّ التكنولوجيِّ، إلا وأستثمره في نَشْرِ الرَّذِيْلَةِ، والغواية، حتى أَصْبَحْنَا مُحَاطِينَ مُحَدِّقِينَ مِنْ كُلِّ الجَوَانِبِ، مُحَاصِرِينَ حتى في بيوتنا وَمَحَادِينَا، تُقَدِّمُ لنا الغوايةَ مَعَ الطعامِ والشرابِ والأخبارِ، تُقَدِّمُ لنا في التربية والتعليمِ، تُقَدِّمُ لنا في الرياضة والتنشئة.

ومَعَ العملِ الجَادِّ الواجبِ لدفعِ كُلِّ هذه الشرورِ، نقولُ مَعَ يوسفَ عليه السلامِ. ﴿وإِلا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾.

نسألُ الله تعالى لنا جميعاً السلامةَ والنُّصْرَةَ على الشيطانِ وجُنُودِهِ، إنه سميعٌ قريبٌ.

### مواطن الإسترشاد بالآية في الحياة اليومية:

١ - للدلالة على مشروعية قبول وقوع الظلم بالسجن، كخيارٍ أُوحد لعدم الوقوع في المعصية.

٢ - للدلالة على سهولة وقوع الإنسان، وخصوصاً الشباب في الغواية، وهو بحاجة إلى نصرة الله تعالى لصرف الكيد عنه، وليس له أن يستقوي بثبات نفسه وقوة شخصيته نظراً لانغراس الضعف في أصل تكوينه.

٣ - للدلالة على أن اختلاط الرجال بالنساء والفتيان بالفتيات هو عامل غواية شديد يُسهِّل وقوع الفاحشة، ولقد أكده القرآن الكريم على لسان يوسف عليه السلام فليس للنظريات القاصرة أن تكذبه.